:91-522-2741235, 2741272
:91-522-2741221, 2741231
(Vol. 53, Issue. 04)

Monthly

Regd. No. LW-NP/642006 T
(December - January 20

AL-BAAS-EL-ISLAMI

صفحات في اليهوديات

إصدارات جديدة:

لتُفسِدُنَّ في الأرضِ مرَّتين

عرض موجز لإفساد اليهود وعُلُوّهم في أرض فلسطين، حينما أورثوها قديماً، ولما أصابهم بما كسبت أيديهم من عذاب ونكال وطرد وتشريد.

وذلك في ضوء نبوءة التوراة التي ذكرت في مطلع سورة الإسراء، وفي ضوء ما سجلته أسفارهم وكتب التاريخ من أحداث ووقائع.

بقلم

محمد علي دولة

الناشر:

دار القلم
دمشق

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير-جدة: ٢١٤٦١- ص ب: ٢٨٩٥
ت: ٦٦٠٨٩٠٤/٦٦٥٧٦٢١

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Kakori Offset Press, Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

مؤسسة الصحافة والنشر

المجلد ٥٢

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الخامس المجلد الثاني والخمسون – محرم وصفر ١٤٢٨هـ فبراير ومارس

- "الفاشية الإسلامية" وزعماء الحضارات المادية
- تصريحات البابا في تركيا هل تدل على تحول في الموقف؟
- الحضارة الإسلامية • أمريكا بين الإستفراد والإستبداد!
- الخرطوم عاصمة إسلامية أخرى تحت النار
- من كرائم النساء • البديل النقدي للزكاة

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكناؤ، الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Tel : 0091-522-2741235, 2741272 Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e- mail : theal-baas@nadwatululama.org

المكتب خزينة

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الثاني والخمسون

○ رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد الخامس
محرم-صفر ١٤٢٨هـ
فبراير-مارس ٢٠٠٧م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة و النشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٠٥٢٢.
الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢.

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند

مأتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومبدئه ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج – بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية – منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

خزينة الكتب النفيسة

محتويات العدد

ع/٥ ، ج/٥٢ ، محرم - صفر ١٤٢٨هـ

الافتتاحية :

"الفاشية الإسلامية" وزعماء الحضارات المادية — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

الحضارة الإسلامية — د/أحمد عبد الرحيم السايح — ٨

أمريكا بين الاستفراد والاستبداد ! — د/عدنان علي رضا النحوي — ١٥

من كرائم النساء — د/محمد بن سعد الشويعر — ٢٥

الدعوة الإسلامية :

أخلاقيات الحرب في المنظور الإسلامي — أ.د/محمد غياث الدين حافظ — ٣٠

الخرطوم : عاصمة إسلامية أخرى تحت النار — أ.د/عز الدين إبراهيم — ٣٨

الفقه الإسلامي :

البدل النقدي للزكاة — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤٣

لفتة للإمام والمؤذن — الشيخ علي بن عبد الله الشبل — ٤٨

من التاريخ الإسلامي :

سيدنا أبو بكر الصديق : وشجاعته — الأخ ذكي نور عظيم الندوي — ٥٧

الإمام أبو القاسم القشيري حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات — د/محمد عارف الدين الفاروقي — ٦٧

دراسات و أبحاث :

مولانا غلام علي آزاد البلغرامي ؛ كاتباً وشاعراً — البروفيسور محمد اجتباء الندوي — ٧٧

سجع الكهان — أ.د/محمد السيد علي البلاسي — ٨٦

صور و أوضاع :

تصريحات البابا في تركيا،هل تدل على تحول في الموقف ؟ — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٩

بأقلام الشباب :

يوم عظيم من الزمان مشهر — الأخ محمد فرمان الندوي — ٩٤

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ الدكتور صفي الرحمن المباركفوري ؛ في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٦

رحيل الأستاذ لطيف أحمد خان ؛ إلى رحمة الله تعالى — . . . . — ٩٧

والد فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي ؛ في ذمة الله تعالى — . . . . — ٩٨

الشيخ عبد الرشيد بن عبد السلام الأزهري ؛ في ذمة الله تعالى — . . . . — ٩٩

فضيلة الشيخ محمد الحجي الشائع ؛ إلى رحمة الله تعالى — . . . . — ١٠٠

الافتتاحية :

"الفاشية الإسلامية" وزعماء الحضارات المادية

بقليل من التدبر في السلبيات التي يصطنعها قادة الديانات السابقة وزعماء الحضارات المادية ، نحو تزييف الدين الإسلامي وحضارته الإنسانية ، يتكشف ذلك السرّ البغيض الذي يختفي وراء الكواليس المزخرفة التي تُنصب جلباً لانتباه الناس إلى الحضارات المادية ، وصرفاً لتوجهاتهم عن حضارة الإسلام إلى ما يضادها ويوفر إمكانيات لهدمها وتشويه وجهها المشرق .

وقد تسلسلت هجمات متتابعة على الإسلام وشريعته من خلال المعسكرات العالمية واللوبيات اليهودية التي قامت وتقوم بالحرب ضد الإسلام فقد مضى ما صرح به كبار الزعماء والقادة الغربيين من أنهم بدأوا حروباً صليبية جديدةً ، وذلك في الأيام الأولى من وقوع حادث ٢٠٠١/٩/١١م ، فكانوا يمارسون هذه الصليبية بأساليب شتى وطرق متعددة ، ولم يدخروا وسعاً في إثبات أن الإسلام خطر كبير يتحدى الإنسان والحضارات العالمية، ويتهدد أمن العالم وسلامته ، ويبعث على الإرهاب والعنف والجهاد ، فهو أخطر من أيّ عدو للإنسانية في العالم كله .

وتحقيقاً لهذا التصور الخاطئ اختلقوا وسائل لتبرير اتهام المسلمين بتضييق الأرض على سكان العالم ، وعيشهم في مواجهة

خوف وذعر ، مما إذا كانت هناك مفاجئات غير مترقبة بين يوم وليلة وصباح وعشية ، تدمر الآمال وتقرب الإنسان إلى اليأس والإبلاس ، وإلى قطع الصلة عن المستقبليات المشرقة ، وكل ذلك ليس معناه إلا أن الإسلام دين لا يتفق وطبيعة الحضارات الإنسانية ، وأن بقاءه يورث مشاكل من كل نوع ، ويكون حجر عثرة في طريق العلم والحضارة ، والتطورات العقلية والاجتماعية والحرية القانونية .

وليس هذا العداء الموجه نحو الإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي إلا نتيجة للتطرف اليهودي الذي لا يرضى عن الوجود الإسلامي بأي شكل كان ، وقد سبق أن اليهود وضعوا عراقيل في طريق انتشار الإسلام وازدهار شريعته ، وحضارته ، من خلال مخططات سرية تتكفل بكسر شوكة الإسلام وترجيع الأمة الإسلامية إلى العهود المظلمة ، وقطع صلة العالم البشري عن الرحمة المهداة وعن الأمن والسلام والعافية التي جاء بها رسول الإسلام خاتم النبيين محمد ﷺ ، وأنقذ البشرية المعذبة من الظلم والطغيان والاستعباد والخلاعة والإباحية ، الأدواء التي كان مصدرها عدم الشعور بمسئولية الإنسان ، و وظيفته التي جعلته أكرم خلق الله وأشرفه ، ورغم وجود حضارتين راقيتين في الشرق والغرب لم يتمكن إنسان ذلك العصر أن يعرف غايته ، وينزه نفسه ويزكي قلبه ، ولو لا أن الإسلام جاء بحضارة إنسانية مكتملة وآداب للحياة بجميع مجالاتها لكان العالم البشري خبر كان .

واليوم هناك حرب على الإسلام بالإعلان الصارخ ، وتوفير للوسائل ألواناً وأنواعاً ضد الحضارة الإسلامية ، والقضاء على القيم الخلقية المثلى ، ونحن مكتوفي الأيدي والأفكار إزاء كل

ما يوجه إلينا من تهديدات وإنذارات ، ومن أخبث المؤامرات التي تؤكد أسوأ النتائج للأمة الإسلامية ، ذاك مثلاً الغزو العسكري على بلاد المسلمين الذي يطلع عليه العالم كله ، ويستنكره بغاية من الشدة والكراهية ، وبث السموم البطيئة من الإباحية والفساد والأدواء الخلقية بين المجتمعات والأسر والعائلات في بلدان المسلمين بواسطة الألعاب وباسم الرياضة وإعداد فرق لها من الشباب المسلم ، وإنزالها في الفنادق الفخمة المشبوهة ، وتوفير كل الراحات الجسمانية والروحية مما يوفر الفرص لإشباع الغرائز والشهوات من كل نوع وما إلى ذلك من دس سموم الإباحية في اللُعب الإلكترونية للأطفال ،وتوجيه فيروسات الأمراض العقلية والجنسية المعضلة إلى أقطار ودول العالم الإسلامي ، حيث يتزايد الشباب ذوباناً في بوتقة الفساد الخلقي ، ويتعرون عن لباس الحشمة والحياء ، ويصابون بأمراض عضال ، لا يتيسر علاجها لكل إنسان .

لماذا هذا الحقد المشين على الإسلام وأتباعه ، كأنه غصة في الحلقوم ، ولا يكاد يصبر على بقائها فيه للحظة واحدة ، على أن الواقع يكذب ذلك ، وقد ثبت بكل تأكيد أنه دين الرحمة للخلق كله والعالمين كلهم ودين التكريم للإنسان وتفضيله على جميع الخلق ، فقد قال الله تعالى وهو يخاطب رسوله العظيم محمداً ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ * وَحَمَلْنَاهُمْ فِيْ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ * وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ * وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلاً ﴾ وعلى كل ذلك يتواطأ العالم المادي كله مع اليهود في اتهام الإسلام بالإرهاب والعنف ، و الفاشستية ، و المسلمين بنشر الفوضى ؛ و روح

الدكتاتورية ، وقد أجمع زعمه العالم المادي على الاستهانة بشأن العقيدة الدينية وإطفاء نورها ، وهم لم يقصروا لتحقيق هذا الغرض في اتخاذ كل أداة ذات خطر ، وكل الأساليب القمعية ، ولم يدعوا جهداً في إعداد حبائل وشبكات لصيد أفراد الأمة وإذابتهم عقيدةً وسلوكاً ، ودِيناً وأمانةً ، فمن المؤامرات والمخططات السرية إلى الحرب العلنية ، ومن ذم تعاليم الإسلام وتزييفها إلى إيجاد إسلام معتدل بعيد عن كل تقيد وشرعية قانونية ، ومن مطالبة بإبداء حرية الرأي وإدخال تعديلات في الثوابت من الأحكام والحدود إلى هدم المساجد وإطلاق النار على المصلين فيها وما إلى ذلك من فعاليات خبيثة كمنع الحجاب والدعوة إلى السفور والعري وترجيل المرأة وتسويتها بالرجل في جميع الشئون ، ونشر الرذائل والمنكرات على أوسع نطاق ، وبرمجة تعليم الجنس ، سواء في مجتمعات الرجال والنساء والشباب والأطفال .

وأخيراً أعلن الرئيس الأمريكي قائلاً : إن أمريكا في مواجهة الفاشية الإسلامية (ISLAMIC FASCISM) ولعله يعني بذلك أن الإسلام يدعو إلى تمجيد الحكم والعِرق ، وإلى إقامة حكم أوتوقراطي مركزي يرأسه زعيم دكتاتوري ، على أن زعماء الغرب الآخرين لم يتجرأوا على توجيه مثل هذه التهمة للدين السماوي الأخير ، الدين الذي يدعو إلى الرحمة والعدل والحلم والتواضع وجزاء السيئة بالحسنة ، واللين في القول ، والقصد في العمل ، ويحث على الرفق حتى بالحيوان .

فليعلم الذين لا يعلمون أن الإسلام دين لا يعرف أي نوع من الظلم والفاشية والدكتاتورية ولا يعرف الغزو والطغيان

والعداء والاعتداء ، ولا يهمه إلا إسعاد الإنسان ، وإنقاذ البشرية من كل جور وعسف وعدوان ، ومقياس الكرامة والسعادة عنده ليس إلا الاتصال بالله تعالى ، وتأسيس الحياة على تقوى الله تعالى ، وكل شرف من شرف الشعوب والقبائل والأنساب والأحساب لا قيمة له في عين الله تعالى الذي يقول في كتابه العزيز : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى * وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوْباً وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوْا * إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ * إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ﴾ ، ويقول الله تعالى : ﴿ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ * وَّ لاَ يَتَسَاءَلُوْنَ ﴾ .

ولكنها الأحقاد إذا تعمقت جذورها في النفس يرائي كل شئ من خلال منظار الحقد الأسود بغير لونه ، وأما الإسلام الذي لا يرضى بالكفر والكذب والرذائل الخلقية والاجتماعية ، وإنما يصهر الحياة في بوتقة الإيمان والصدق والحق والعدل ، ويأمر بالخضوع أمام رب العالمين وإخلاص العمل له ، فلا يزال مرفوضاً لدى الحاقدين الذين لا يلبثون أن يسموه بأسماء قبيحة ما أنزل الله بها من سلطان : ﴿ إِنْ يَّتَّبِعُوْنَ إِلاَّ الظَّنَّ * وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُوْنَ ﴾ وسوف لا يدركون ضالتهم إلا في دين الله الأخير الدائم الباقي النامي ، يقول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ * ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا * إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِيْنَ مُنْتَقِمُوْنَ * وَلَنُذِيْقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى * دُوْنَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ * لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ﴾

والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل ،،،

سعيد الأعظمي
١٤٢٧/١١/١٠هـ

التوجيه الإسلامي :

الحضارة الإسلامية

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لا سيما في تاريخ الحياة العربية ، والمفهوم الأصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية : أنها تعني حياة الحضر والإقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها : البداوة وهي حياة التنقل في البادية .

ولقد عرف الناس الفارق بين حياة الحضر وحياة البادية ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر .

ويلاحظ الباحث : أن أول من تصدى لهذا التمييز بين البادية والحضر على أساس من الدراسة الواعية والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابة المشهور (المقدمة) ... بل إننا نجد أن هذا العالم هو أول من عالج شئون الحضارة بطريقة علمية توجيهية تسلك بالباحث إلى مراقي الفلاح .

على أنه إذا كان عبد الرحمن بن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على (أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة في القرى والأمصار والتي تضفي على أصحابها فنوناً منتظمةً من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية) .

وإذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران .. فإن مفهوم الحضارة في الفكر المعاصر قد امتد إلى ألوان من المعنى هي أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والثقافي والمدني من البادية إلى الحضر .

ولئن كان بعض العرب قد استعمل كلمة : (مدني) بمعنى (اجتماعي) فإن مفهوماً أصيلاً قد اتصل بكلمة : (مدني) وأصبح

يعرف بالمدنية ونجد أن ابن خلدون لم يترك هذه الكلمة دون استعمال فاستعمل صيغة (التمدن) وكان يعني بها (التحضر) .

على أنه مما يسترعي نظر المفكر : أن تلك المفاهيم اللغوية إنما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية ، ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية إلا في جهات قليلة خارج البيئة العربية ، ولذلك فإن لفظ الحضارة في مفهومه العالمي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعاً مما يدل عليه في مفهومه اللغوي التقليدي .

وإذا كان أصل الحضارة : الإقامة في الحضر .. فإن المعاجم اللغوية الحديثة ترى أن الحضارة هي الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر وبعبارة أخرى أكثر شمولاً : هي الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية .

ولهذا كانت الحضارة هي الخطة العريضة - كماً وكيفاً - التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ، ومنها الأطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة .

والحضارة باختصار شديد هي : جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلاً على القدرات الذهنية المميزة .

ولا شك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمران وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومي وتقاليد المجتمع في التقارب والتفاهم والتعايش ..

والمدنية هي الوسائل والأدوات المادية التي يستعين بها الإنسان على تحقيق حضارته وهي العديد من الأشياء والأدوات المادية التي

تعين الإنسان على التقدم في مضمار الحضارة .

وإذا كانت الحضارة هي الإبداع في مجالات الفنون والمعارف والعلوم فإن المدنية هي السبيل إلى دليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التي تبلغ بها الحضارة مستوى التقدم وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألواناً من الفن والإبداع .

وليس كل عمل فكري أو تصوري أو فني أو سلوكي يصدر من الإنسان يسهم في الحضارة الإنسانية ، وإنما ذلك العمل وحده الذي يصدر من الإنسان ممثلاً لخصيصة من الخصائص الإنسانية ويتميز به الإنسان لأنه إنسان .

فالعمل الفكري الدقيق والتصور الرفيع والسلوك المستقيم هو أساس الحضارة الإنسانية والعامل في نموها وتقدمها لأن في كل واحد منها يتجلى جهد الإنسان ممثلاً لخصيصة من الخصائص الإنسانية ، ويتميز به الإنسان لأنه إنسان .

ومما يلاحظه الدارسون لتطور المجتمعات : أن الماديات المختلفة قد تؤدي إلى رفع مستوى التقدم الحضاري وقد تؤدي إلى التخلف والانحدار .

والذكاء الإنساني في مجال استخدام الماديات هو الحكم في توجيه هذه الماديات .. فإما أن يسير بها سيراً حثيثاً نحو التقدم وما يفيد الإنسان .. وإما أن يهبط بها إلى مجال العبث والفوضى والفساد .

والحضارة الإنسانية ليست إنتاجاً مادياً ، ولكن الإنتاج المادي قد يكون انعكاساً أو نتيجة لبعض جوانب الحضارة أو لها جميعها ..

ولئن كان الإسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الإنسانية .. فإن الواقع يبين للباحث والمفكر : أن الحضارة الإسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها وأسباب نمائها وازدهارها من الإسلام ذاته .

والإسلام كان وما يزال دين الحضارة الإنسانية بمعنى أنه كان منذ جاء دين عبادة ودين معاملة ، وأنه أنشأ لوناً من الحضارة عرف باسمه وهو

(الحضارة الإسلامية) وتسمية الحضارة التي غرس أصولها الإسلام وتعهدها المسلمون بالرعاية .. بتسمية غير إسلامية .. كالحضارة العربية ، أو حضارة العرب ، عبث نبت من أحقاد دفينة ، وأغراض خفية ..

وقد قامت الحضارة الإسلامية على دعائم أساسية جعلت منها حضارة عالمية متميزة وفريدة في تاريخ الإنسانية .. حيث كانت إنسانية في جوهرها وإنسانية في أهدافها تعبر عن القيم الرفيعة وتصور تقدم الإنسان في مستوى الإنسانية فلا تقاس حضارة الشعوب بالتقدم في الصناعة والتقدم في العلم إلا بمقدار ما يعبر فيهما عن الأهداف الإنسانية.

📖 **ومن دعائم الحضارة الإسلامية :**

أولاً : أن الإسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فعالة بل فاعلية الإسلام في هذا الجانب شملت حياة الفرد وحياة الجماعة من جميع الجوانب .. والشئ المهم في هذه القوة الفعالة : أنها كانت أصلاً جذرياً يمس أساس الأوضاع في حياة الناس وحركتهم في الحياة ..

ثانياً : أن الإسلام كان منذ أن أشرق دين دعوة وتبليغ ، وفكرة الدعوة في الإسلام قد واكبت ظروف الانتشار في أقطار الأرض .

وفي ظلال الدعوة المستمرة والتبليغ القائم تمكن الإسلام من نشر الطابع الحضاري كعقيدة للحياة .. وأن يصبح في أقل من ربع قرن مقوماً أساسياً من مقومات الحضارة الإنسانية ..

ثالثاً : كان الإسلام ديناً سهلاً ميسراً غير معقد ولا مركب في عقيدته ونظمه وتعاليمه ، وكان في الوقت ذاته ديناً مباشراً يتصل فيه الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي * أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ (غافر/٦٠) ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي * فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ (البقرة/١٨٦) وقال رسول الله ﷺ : **"إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"** .

وقد لا يجد الباحثون في العقائد : عقيدة تطلب من الإنسان

شهادة أبسط من شهادة الإسلام على عمقها وعظمتها : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عبارة سهلة رائعة تقف بالإنسان على عتبة الإسلام وتدخل به هو مسلح بالحق والعدل والصدق .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالإسلام أن الدين يسر لا عسر ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري أول ما يستشعره من يدخل في دين الله .

رابعاً : كان الإسلام ديناً رحباً يدعو إلى سبيل العقل في حدود أصول العقيدة كما يدعو إلى سبيل الضمير والحق ومن هنا كانت الدعوة إلى النظر وإلى المعرفة أساساً من أسس الدعوة الإسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة والإسلام في رحابته الحضارية استطاع أن يتفاعل مع ألوان الحضارات في البلاد التي أوقد فيها قناديل الضياء وأن يسبغ عليها طابعاً إسلامياً شاملاً .

خامساً : كان الإسلام ديناً للدنيا والآخرة وقد ترتب على ما اتصف به الإسلام من جمع بين الروح والمادة ،إنه أصبح ديناً رحباً يلائم حياة الناس .. كذلك أصبح الإسلام أكثر التصاقاً بالحياة ، وفي الوقت ذاته أصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري .

سادساً : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة ..

سابعاً : كان الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الأفراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالإسلام أعطى نظاماً متكاملاً للحياة سواء من وجهة نظر الفرد أم من وجهة نظر الجماعة ..

وقد يكون من أبرز القيم التي استند إليها نظام الحياة الإسلامية فكرة القيمة للإنسان واستنادها إلى فكرة المسئولية ؛ قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر/٣٨) ، وفي الحديث

الشريف : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" ثم فكرة الإخاء التي تجعل المسلم ينتمي إلى جماعة المسلمين ويحس بأنه عضو في المجتمع الإسلامي يعمل لمصلحة الجماعة والجماعة تسعى للارتفاع بمستوى الفرد .

ثامناً : القرآن الكريم ذاته وذلك أن القرآن كان أعظم كتاب عرفته الإنسانية في تاريخها الممتد الطويل ، فقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم الذي تنشده الأمة فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية ، والعلائق الأسرية والمعاملات الاقتصادية والحربية والنظم المدنية ، وبعبارة أخرى : تجد فيه الأمة كل ما تحتاج إليه في حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا .

وإذا كان الإنسان ذلك الكائن الحي الذي لا وجود له ولا حياة بغير الروح والقلب والعقل ، فإن المسلمين لا كيان لهم ولا حياة بغير القرآن فهو لهم الروح والعقل والقلب .

تاسعاً : اللغة العربية نفسها كانت دعامة من دعائم الحضارة الإسلامية وذلك لأنها أعرق منبتاً ، وأعزها جانباً ، وأقواها جلادة ، وأغزرها مادة ، وأدقها تصويراً لما يقع تحت الحس وتعبيراً عما يجول في النفس ، نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخاً وأشد بنياناً وأقوى استقراراً .

وبفضل القرآن صارت العربية أبعد اللغات مدى ، وأوسعها أفقاً ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية .

واستطاعت اللغة العربية في ظل عالمية الإسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتقي حتى تصل أرقى اختلاجات النفس ، وليس هناك معنى من المعاني ، ولا فكرة من الأفكار ، ولا عاطفة من العواطف ، ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالأحرف والكلمات تصويراً حياً بارزاً .

عاشراً : وبجانب هذا وذاك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالعصر الذي ظهر فيه الإسلام ، ثم العنصر البشري

والتكوين السكاني ، فأما عن العصر فقد كان الإسلام ختاماً للأديان السماوية ، وكان الإسلام بذلك رباطاً لها من الناحية التاريخية ، كما كان في الوقت ذاته تصحيحاً لما أصابها من تحريف الفلاسفة والوضعيين .

ولقد كان هذا كله قوة دفع للفكر الإسلامي ، وما اتصل به من حضارة ، ومن هنا انطوى التفاعل الإسلامي على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية ، فانتشر طابع الحضارة الإسلامية على فعالية لم يعرف في تاريخ الإنسانية لها مثيل .

ومما يذكر : أن ترسيخ معالم الحضارة الإسلامية قد تضاعف بفعل مقوم إنساني آخر وهو تنوع السلالات التي دخلت في الإسلام ، ثم هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الإسلامية .

ومن وراء كل ذلك ، هناك الإيمان بالله فهو القوة الدافعة الموجهة التي تسند الضعيف من أن يسقط ، وتمسك القوى من أن يجمح ، وتعصم الغالب من أن يطغي وتمنع المغلوب من أن ييأس .

ولئن كان الإسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الإنسانية من حيث تقديس حرية الفكر ، وإعزاز حرية الإنسان وكرامته ، وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال إخاء شامل وعدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الخلقية الرفيعة ، فإن واقع الأمر يبين للمهتمين بالفكر الإسلامي أن الحضارة الإسلامية قد استمدت مقوماتها وعناصر وجودها من الإسلام ذاته .

وإذا كان ظهور الإسلام قد سبقه في جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضاً في البلاد التي فتحها وانتشر فيها ألوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية ، والآشورية ، والبابلية ، والإغريقية ، فإن الإسلام استطاع أن يضفي على البلاد التي دخلت فيه لوناً عظيماً من المعاملات والعلاقات الإنسانية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية .

(يتبع)

أمريكا بين الاستفراد والاستبداد !

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
www.alnahwi.com info@alnahwi.com

هذه لحظات فريدة من التاريخ البشري ، تنفرد فيها أمريكا بقوة طاغية وكأنها القوة المادية الوحيدة في الأرض ، بعد أن تفسَّخ الاتحاد السوفيتي ، و وقفت روسيا تحاول أن تنهض على مجد سابق ، ولكنها مرحلة فيها امتحان لأمريكا وغيرها ، يمحّص الله فيها موقف كل فريق ، موقف أمريكا ، وموقف أوربا وروسيا ، والصين ، والمسلمين وغيرهم ، حتى يكون الموقف لهم أو عليهم يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى ، وإن كانت هذه النظرة والإيمان بالدار الآخرة غير واردة في مفهوم رجال العلمنة والعلمانية ، ولكنها الحق الذي سيفاجئون به قريباً عندما ينتهي الأجل المسمى لكل إنسان ولكل أمة ولكل دولة :

﴿ قُلْ : لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِيْ ضَرّاً وَّلاَ نَفْعاً إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ * إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ * فَلاَ يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاعَةً * وَّلاَ يَسْتَقْدِمُوْنَ ﴾ .

(سورة يونس ، الآية/٤٩)

وكذلك :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ * فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ * لاَ يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاعَةً * وَّلاَ يَسْتَقْدِمُوْنَ ﴾ .

وكذلك :

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُوْنَ * إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيْهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِيْنَ مُقْنِعِيْ رُؤُوْسِهِمْ * لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾ (إبراهيم/٤٢-٤٣) .

هذا التصور غائب عن كثير من الناس وخاصة أهل العلمانية والعولمة، فإذا ضاق بهم السبيل يتساءلون أين نذهب ؟!

يقول سياسي: في اليوم الذي كنّا نختلف مع الاتحاد السوفيتي كنا نذهب إلى أمريكا، ويوم أن كنا نختلف مع أمريكا كنا نذهب إلى الاتحاد السوفيتي، واليوم لم يعد إلا أمريكا، فأين نذهب ؟! (١).

وكثيرون أمثال هذا السياسي، لا يخطر ببالهم أن يلجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى في كل حال، وظنّوا أنّ الاتحاد السوفيتي وهو في أوج قوته قادر على أن يفعل ما يشاء، وأنه دائم القوة ! فأراهم الله آية من آياته وسنّة من سننه، وذلك بسقوط الاتحاد السوفيتي بقدر من الله، كما سقطت دول أخرى في التاريخ، غرّها ما كان في يدها من قوة مادية سرعان ما ذهبت القوة وهانت الأمة.

وكلما يضيق الأمر برجل أو دولة يفزع إلى رجل آخر يظنه قوياً خالداً، أو إلى دولة قوية يظنها خالدة.

كُتب في إحدى المجلات اقتراحٌ يُطلب فيه عدم السعي لإسقاط أمريكا، وطالب بالحفاظ عليها دولة وحيدة مهيمنة ! لأن في سقوطها ضرراً كبيراً ... (٢) كأنه لم يذكر الله في حياته، ولم يقرأ القرآن، ولم يعمر قلبه بالإيمان، وكان حسبه أن يتذكر دعاء الرسول الكريم ﷺ:

"اللهم لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك"

إنّ ميزة زعماء أمريكا أنهم واضحون جريئون في تصريحاتهم التي تكشف حقيقة أطماعهم وجوهر سياستهم وعزيمة عدوانهم.

لمحة على التاريخ تكشف لنا ظاهرة الغرور والكبر عند كلّ من أنعم الله عليه بقوّة، فغالباً ما يدّعي هذا وذاك أنه هو سيد العالم وأن

(١) حسن قطامش: عولمة أم أمركة: ص/٣. (٢) المصدر السابق: ص/٣-٤.

الله اختاره لقيادة العالم، وإن كان شعباً، فالشعب هو الشعب المختار، مرضٌ واضح في تاريخ الضالين من الشعوب والزعماء.

فاليهود حرّفوا كلام الله، وأعلنوا أن الله اختارهم وحدهم، وسموا أنفسهم "شعب الله المختار" والتحريف واضح، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى رب جميع الشعوب، وخالق جميع الناس، فلا يفضّل دماً على دم، ولا جنساً على جنس، ولكن يفضل الإيمان والتقوى والعمل الصالح ومن يلتزم ذلك، فالله فضّل المؤمنين المسلمين الذين آمنوا بموسى عليه السلام ودخلوا معه في دينه الإسلام، وفضّل المؤمنين المسلمين الذين آمنوا بالنبي الكريم ﷺ الذي بعثه الله إليهم بدين واحد هو الإسلام، دين جميع الأنبياء والرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ، وبرسالته الخاتمة المهيمنة.

فعلى مدار التاريخ كانت الأمة المفضّلة عند الله، هي الأمة التي تلتزم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالإيمان بالله، الأمة التي تحمل رسالة الله ودينه فتبلّغه للناس، وتتعهّدهم عليه، لنشر المعروف الحق بذلك، وتنهى عن المنكر الباطل، وهذه الأمة أمة واحدة على مدار التاريخ:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوفِ * وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ ... ﴾ (آل عمران/١١٠).

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا * وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ * وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِنَا * هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ (البلد/١٧-٢٠).

ولكن الناس غيّروا هذا الميزان الرباني وحرّفوه وبدّلوه، وأخذ كلٌ يدّعي أنه هو المختار، دون أن يخشع بين يدي الله ويشكر نعمته عليه، فيؤمن ويعمل عملاً صالحاً.

ففي القرن السابع عشر، كانت فرنسا هي القوة المسيطرة،

فرفعت بذلك شعارها الذي ينادي بدور فرنسا في "تحضير العالم"، مهملة كل شعوب الأرض وكلّ إنجازاتهم، ولما برزت بريطانيا كقوة مسيطرة رفعت شعار مسئولية الرجل الأبيض في "تحضير العالم"، وارتكبت من المجازر والظلم والإفساد في الأرض ما ملأ تاريخها بصفحات سوداء، كما ملأت فرنسا تاريخها في فترتها بصفحات سوداء من شدّة ما اعتدت وظلمت وأفسدت.

ولما جاء دور أمريكا اعتبرت نفسها سيدة العالم، وأنها مسئولية عن نشر ما تدعيه من زخرف الديمقراطية والحريّة من خلال مجازر كان من ضحاياها الملايين من شعوب الأرض، بالإضافة إلى جرائمها في سجونها ومعتقلاتها، حيث تُلغي ما يدّعونه من ديمقراطية وحرية وعدالة ومن حقوق الإنسان.

ولا نزال نحن اليوم في عصر أمريكا وسلطانها، ولقد أسكرها ما بلغته من قوة وسيطرة، وهول سلاح وتقدّم صناعي، فلم تعد تقيم وزناً للمبادئ والقيم، وشعارات العدالة والحريّة، فالعدالة هي حق أمريكا في تأمين مصلحتها وحدها فقط، والحرية هي لأمريكا وحدها، ولعلّ تاريخ أمريكا ونشأتها قد بدأ بالظلم والفتك والعدوان على شعب أمريكا الأصلي - الهنود الحمر - ثم مجازر الحرب بين بريطانيا والمستعمرون لأمريكا، الحرب التي انتهت باستقلال أمريكا عن التاج البريطاني، من خلال حروب اشترك في هول جرائمها بريطانيا والمستعمرون لأمريكا.

ومع نموّ قوة أمريكا حتى تفرّدت بذلك اليوم، أصبح المبدأ الديمقراطي ومعاني الحريّة والعدالة يعني عندها أنه ما يحق للأمريكان لا يحق لغيرهم، وأنهم هم الشعب المختار **"لتحضير العالم"**، ونسوا ما بيّن الله سبحانه وتعالى لهم ولنا وللناس كافة من عِبَر في التاريخ ومواعظ:

﴿ قُلْ : سِيرُوْا فِيْ الأَرْضِ * ثُمَّ انْظُـرُوْا * كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُكَذِّبِيْنَ ﴾ (الأنعام/١١).

قلنا: إن تاريخ أمريكا بدأ منذ لحظة النشوء بأسوء أنواع الجرائم، فلقد كان عدد الهنود الحمر، كما يسميهم المعتدي الجديد، مليوناً من خلق الله، فلم يبق منهم بعد مراحل النشوء إلا ٣٥٠/ ألفاً فقط، فالذين أبيدوا على يد المعتدين ٧٥٠/ ألفاً، وانظر كذلك ما فعلوا في إفريقيا، وكيف ساقوا الرجال والنساء عبيداً يحملونهم إلى أمريكا ليكونوا خدماً لهم في أجواء الإذلال، وحسبك أن تقرأ كتاب: "الجذور the Roots" لمؤلفه "ألكس هالي Alex Haley"، الذي يصف رحلة الإفريقيين الذين سيقوا عبيداً إلى أمريكا، وما لاقوه من عذاب وإجرام في الرحلة القاسية، وبعد وصولهم، وما لاقوه من حقد كبير ضد السود بعامة، ولقد بلغ عدد العبيد في أمريكا سنة ١٨٥٠م ٣,٢٠٠,٠٠٠ وكان سكان أمريكا ٢٣ / مليوناً.

وقد قامت أمريكا منذ نشأتها باستعباد شعب نُزع من أرضه في إفريقيا لِتَسْتعبده في أرضها، وكذلك فعل المجرمون الفارون من أوربا وأبناء السجون وأمثالهم الذين راقت لهم الهجرة من أوربا لإحياء الأرض الجديدة البكر، فواجههم بقايا السكان الأصليين، خليط عجيب من الناس لا يجمعهم إلا أن يتخلوا عن هويتهم وأخلاقهم ودينهم، ليذوبوا في صياغة جديدة يذوب فيها الجميع ذوباناً كاملاً، يعملون ويأكلون ويتلذّذون في سباق هائل في طلب الدنيا، يتمتعون بما يشاءون! كأنه لم يعد هناك شئ حرام إلا ما حرّمْته القوانين الجديدة، دون اعتبار تاريخ البشرية الطويل، والرسالات السماوية، متحرّرين من كل شئ، ليتخلّصوا من الحياة الأوربية التي كانت تمثل لهم استعباد الأرواح والأجساد.

لقد تَمّ هذا الذوبان، في هذا المجتمع الجديد المتحرر من كل

شئ ، لقد كتبت صحيفة : الواشنطن بوست في افتتاحيتها عقب الإعلان بفوز كلينتون بالرئاسة للمرة الثانية : "الأمريكيون مهتمون فقط بأمور الزبلة و الخبز ، و يعتبرون النظام السياسي جهازاً إدارياً ..." (٣) .

ولذلك كانت القاعدة الأولى في السياسة الأمريكية والحياة الأمريكية هي : مصلحة أمريكا أولاً وآخراً ، إنها مصلحة مادية ، تسحق كل شئ أمامها لتحقيق هذه المصلحة ، ومعنى هذه المصلحة أنها تبرز في كل ميدان : اقتصادي ، سياسي ، اجتماعي ، ليستغلّ كلّ ذلك من أجل مصلحة أمريكا ، سواء أكان ذلك في المصلحة الاستراتيجية التي تمسُّ الأمن الأمريكي وحده أم في غيرها ، وقد تُهَدَّم بلاد وأقطار ، ويُقتَل عشرات الألوف هنا وهناك ، تحت ادعاء حماية الأمن الأمريكي ، ولا عبرة لأمن أي بلد آخر ، أو أمن البشرية كلها .

لقد عبّر عن هذه المصلحة المادية الذاتية لأمريكا عدد كبير من المسئولين وخاصة وزراء خارجية أمريكا ، ورؤساء أمريكا مثل : روزفلت وكلينتون ، وبوش ، في تصريحات واسعة في مختلف وسائل الإعلام ، يقول كلينتون : "وعندما تصبح القوة مطلوبة (لضمان أمننا) فإنّ علينا استعمالها ، وعلينا أن نرحّب بآمال العالم لا أن نعرض عنها ، ليس من أجل العالم فقط ، بل لأجلنا نحن أيضاً" (٤) .

ويقول "زوبرت دول" في دراسة في مجلة : "فورين بولسي" : "... غير أنّ الأحداث في رواندا والصومال لا تنطوي ، في أسوأ الأحوال ، إلا على تأثيرات هامشية بالنسبة لأمريكا ، إننا لا نستطيع أن نستمرّ في نسف سمعة قواتنا المسلحة من أجل عمليات إنسانية لا

(٣) المصدر السابق : ص/٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ص/٣٤ .

تفعل شيئاً في مجال تعزيز مكانة أمريكا !" (٥) .

أما مادلين أولبرايت فتوجز سياسة وزارة الخارجية بأن : "الأهداف الرئيسة الحيوية هي تأمين مصالح الولايات المتحدة ، والتوسّع بها لتشمل الكرة الأرضية !" .

ومعنى كلمة : "أولبرايت" : "... والتوسع بها لتشمل الكرة الأرضية" ، فإن التوسع لن يكون بالتعاون الإنساني ، بل بالقوة العسكرية التي بنيت من أجل هذا التوسّع اللاإنساني ، فألغى مجلس النواب قانون الحياد مع الحرب العالمية الثانية بحجة مساعدة بريطانيا وفرنسا ، وبهذه النفسية استخدمت أمريكا كلّ الوسائل المتاحة : الدبلوماسية وسياسة الضغط والإكراه ، وسخرت الإعلام والشركات التجارية والحركات التنصيرية وأجهزة التجسس والمخابرات من أجل تحقيق هدف التوسع اللاإنساني العدواني المدمّر ! وحسبك ما ألقته القوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية على طوكيو انتقاماً من اليابانيين الذين سبق أن أسروا ٧٥ / ألف جندي أمريكي في الفلبين ، حيث ألقى الأمريكيون ١٥٠ / طناً من القنابل بواسطة ٧٢ /طائرة قاذفة ، فهدّمت ٢٨ / ألف منزل ، وقتل مائة ألف ياباني ، ثم ألقت القنبلة النووية الأولى على هيروشيما فقتلت مائة ألف في ١٩٤٥/٨/٦م ، ثمّ ألقت قنبلة نووية أخرى على نجازاكي فقتلت ٤٠ / ألفاً من السكان ، ومات آلاف علة بعد ذلك من الإشعاع .

هذا هو معنى التوسع ، وهذا هو معنى الدبلوماسية المملوءة بالحقد وحب الانتقام ، وزيادة الرغبة بالتفوق العسكري واستخدامه الوحشيّ بالتدخل العسكري ، وسرعة الانتشار والتدخل .

ومن هنا أخذت أمريكا تشعر بأهمية السلاح ودوره

(٥) المرجع السابق : ص/٣٤ .

وخطورته ، فسعت إلى السيطرة على سوق السلاح ، فكانت أكبر بائع للسلاح في العالم ، فقد بلغت المبيعات ١٧,٥ / بليون دولار سنة ١٩٩٣م ، فشغلت مصانعها وجنت أرباحاً طائلةً ، وجعلت الدول المستوردة مرتبطة بها من أجل التدريب وقطع الغيار ، وأصبحت تتواجد بشكل سريع وفعّال في بؤر الصراع .

وأخذت أمريكا تنمّي قدراتها العسكرية بصورة مستمرة مذهلة لا يستطيع أن يجاريها في ذلك أي بلد آخر ، وإنما انضمّ إليها الغرب في تنسيق سياسي وعسكري حسب ما تخطط له أمريكا لمصلحتها الخاصة ، وأصبح المبدأ الأمريكي : نقاتل من أجل أن ننتصر انتصاراً سريعاً حاسماً بأقل الخسائر .

وبهذا الاستفراد بدا كأنّ التاريخ أوشك أن يبلغ نهايته ، فجاء كتاب : "فرانسيس فوكوياما" الياباني الأصل الأمريكي الجنسية بعنوان : "نهاية التاريخ والرجل الأخير : The end of history and the last man" ، يبيّن فيه أنّ الديمقراطية الغربية هي التي ستسود العالم ، وأن التاريخ توقف عند انتصار النظام الأمريكي ، كانت دراسته فيها استعراض لكثير من المبادئ والفلسفات ، واعتبر في دراسته أنه لم يبق إلا الديمقراطية الغربية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، ولكنه أشار من ناحية أخرى إلى أنّ الإسلام هو القوة الوحيدة الباقية التي تملك القدرة على التصدي والمنافسة ، كل دراسته تقوم على تصورات دنيوية مادية ، لا يدري أنّ لهذا الكون ربّاً هو الذي يقدّر فيه المقادير كلها تقديراً حقاً عادلاً نافذاً على حكمة لله بالغة .

وظهر كتاب : "نظرية احتواء الشيوعية (لجورج كينان) الدبلوماسي والأستاذ الجامعي ، يبيّن فيه أنّ الشيوعية هي الخطر الجديد على أمريكا والغرب ، ولابدّ من تأسيس أحلاف عسكرية تحيط بالاتحاد السوفيتي وتمنع انتشار الشيوعية في الأرض .

وفي السنوات الأخيرة ظهر صمويل هنتجتون الأستاذ بجامعة هارفارد ، ليعلن نظرية صدام الحضارات يكشف فيه أنّ العدو الرئيس ليس الشيوعية ، وأنّ القضاء على الشيوعية لم يُنْهِ المشكلة ، وأن العدو الحقيقي الذي يهدد الحضارة الغربية هو الإسلام .

هكذا تدرّجت الأحداث والتصورات لتبحث دائماً عن عدو يقاتله الغرب ، أمريكا و معه الغرب ، ابتداء من النازية ، ثمّ الشيوعية ، ثمّ الإسلام ، ولكن المعركة مع الإسلام مختلفة كل الاختلاف ، فمن أراد أن يحارب الإسلام ، فإنه يحارب الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام دين الله الذي اختاره للناس كافة ، دين جميع الأنبياء والرسل ومن آمن بهم ، وتبعهم ، حتى ختموا بمحمد ﷺ !

ولذلك أفلتت من فم بوش "كلمات غداة حادثة الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م عند انهيار برجي التجارة العالميين في نيويورك ، حين قال عن هذا العمل : "الآن بدأت الحروب الصليبية !" واتّهم الإسلام بالفاشية ، ونحى كبيرهم" بابا الفتيكان - بنديكت السادس عشر "في محاضرته في جامعة" ريجينسورج ، ذات المنحى فأعلن أن الإسلام دين مناف للعقل ، و قال : "أرني شيئاً جديداً أتى به محمد ﷺ ، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني ، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف" ، في سلسلة الاتهامات للإسلام وللرسول محمد ﷺ .

إنها تكشف عن ما في أعماق النفس من تصور مسبق ثابت عن عزيمة الحرب مع الإسلام ، ولكنهم لا يريدون أن تكون الحرب حرباً مباشرةً ، كما قال نيكسون في كتابه : "نصر بلا حرب" : "يقوم في منطقة الشرق الوسط عاصفة إسلامية ، لا نستطيع مجابهتها ولكن نستطيع أن نغيّر اتجاهها ..." أو ما معناه .

ثم تطورت الأساليب من تحويل اتجاه العاصفة إلى حرب

مباشرة ابتدأها بوش ، وصممها ، وأعلنها تحت شعار الحرب على الإرهاب ، ولكنْ في حقيقة الأمر هي حرب على الإسلام والمسلمين ، انكشفت في مواقع كثيرة من الكرة الأرضية ، يستغلّون أخطاء بعض المسلمين الذين يخرجون باجتهاداتهم عن مصلحة الإسلام وعن دقة فهم النصوص ، ويتجاهلون المواقف المشرّفة الرائعة للإسلام في تاريخه الطويل وفي واقعه اليوم .

وأصبحت قضية الإرهاب دويّاً كبيراً في الإعلام وفي سياسة الغرب تجاه العالم الإسلامي ، وضمّوا إليه مصطلحاً آخر ؛ وهو : "الأصولية الإسلامية" ! وماذا يعنون بالأصولية الإسلامية ؟! إنهم يعنون الذين يتمسكون بأصول الإسلام ، وهل للإسلام أصول غير الكتاب والسنّة ؟! ولكن إذا كان هناك فهم خاطئ لدى بعضهم ، فإنّ ذلك ليس ناتجاً عن عدم وضوح الكتاب والسنة ، وإنما هو ناتج عن ضغط الواقع والظلم الشديد ، والعدوان السافر ، واحتلال بلاد المسلمين ، وإعطاء فلسطين لليهود وطرد شعبها منه ! هذه المآسي والفواجع والظلم الشديد يدفع كثيراً من المسلمين إلى الانطلاق انطلاقاً عفويّاً كردّ فعل طبيعيّ لما يعانونه من ظلم وقهر ! فتحسب أمريكا أنّ هذه المواقف نابعة كلها من الإسلام وتتجاهل أنها أهم أسباب هذه المواقف ، بما ترتكبه هي من جرائم بحق الشعوب .

وإذا وجد من المسلمين من اتخذ موقفاً عنيفاً نتيجة لشدّة القهر والظلم ، فمن المسلمين من اتخذ موقف الضعف والاستسلام ، والجرأة على تحريف الأحاديث الشريفة أو فساد تأويل الآيات ، ليُرضوا الغرب بانحرافهم هذا ؛ وليظهر بمظهر المتحضّرين بالحضارة الغربية ، فإذا كان هنالك من غالى وتطرّف فهنالك من تهاون وفرّط ، وبدّل وحرّف ، ولكن دين الله - كتاباً وسنّةً ولغةً عربيةً - سيظل حقاً يحفظه الله ، لا يضيره عدوان الظالمين ولا تحريف المرجفين .

من كرائم النساء

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

الحديث عن النساء ، ذات المكانة في الإسلام ، كثير ، وجمعهن غفير ، ومن الصّعوبة الإحاطة بذلك لأن الإسلام ، أعطاهن مكانة ، ورفع من قدرهن ، ولن نستعرض أولاً بكرائم النساء : من زوجات الرسول الحبيب ﷺ ، وغيرهن الشهيرات ، ولكن سنمرّ سراعاً ببعض النساء ذات المكانة والشرف ، والاعتداد بدين الإسلام وقيمه ، كنماذج فقط .. ومنهن :

= أروى بنت عبد المطلب : أسلمت ثم هاجرت إلى المدينة ، وكانت قبل إسلامها تعضد النبي الكريم ﷺ ، ذكروا أن ابنها كليباً ابن عمير ، أسلم في دار الأرقم ، ثم خرج فدخل على أمّه أروى ، فقال : تبعت محمداً وأسلمتُ لله ، فقالت له : إن أحقّ من وازرْتَ وعَضَدْتَ بن خالك ، والله لو كنّا نقدر ، على ما يقدر عليه الرجال ، لتبعناه وذببنا عنه ، فقال كليب : فما يمنعك يا أمّي أنْ تُسْلِمي وتتبعيه ، فقد أسلم أخوك حمزة ؟ فقالت : انظر ما يصنع أخواتي ثم أكون إحداهنّ ، فقال كليب : فإنّي أسألك بالله الا اتبعته ، فسلّمتْ عليه وصَدّقتيه ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ثم كانت تعارض رسول الله ﷺ بلسانها ، وتَحُضّ ابنها على نصرته ، والقيام بأمره .

ولما آذى أبو جهل رسول الله ، ضربه كليب ضربة فشجّه وأوثقوه ، فقيل لها : ألا ترين ابنك كليباً ، قد صيّر نفسه غرضاً دون محمد ؟ فقالت : خير أيامه يوم يذبّ عن ابن خاله ، وقد جاء بالحقّ من عند الله ، فقالوا : ولقد تبعث محمداً ؟ قالت : نعم ، فذهبوا لأخيها أبي لهب فأخبروه ، فجاء يعذلها ، فقالت : أنْصَحُكَ أن تقوم لتدافع عن ابن أخيك وتعضده ، فإنْ يظهر أمره فأنت بالخيار ، أن تدخل في دينه ، أو تبقى على دينك ، فقال

أبو لهب : ما لنا طاقة بالعرب .

= ومنهن : أزده بنت الحارث بن كَلَدَة : لما أجمع أهل ميسان على المسلمين ، قالت أزده : إنّ رجالنا في نحور العدوّ ، ونحن نساء ولا آمن أن يخالفوا إلينا ، و ليس عندنا من يمنعنا ، مع خوفي أن يكثر العدوّ ، على المسلمين فيهزموهم ، فلو خرجنا لأمنا ، مما نخاف من مخالفة العدوّ إلينا ، ويظنّ المشركون أنّا عددٌ ومددٌ ، قد أتى المسلمين فيخافوا أن يسكرهم ذلك اليوم ، وهي مكيدة ، أرادت بها "أزده" تقوية العزائم .

فأجابها النساء على فكرتها ، فعقدت لواء من خمارها ، واتّخذت النساء رايات من ضُمُرِهِنّ ، حسب رأيها لهنّ ، ومضين وهي أمامهن وهي ترتجز ، ثم انتهين إلى الصفوف ، وهي تتقدم النساء في المسيرة ، فلمّا رأى المشركون الرّايات مقبلة ، ظنّوا أن عدداً من المسلمين أتاهم مدد ، فانكشفوا واتّبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدداً كبيراً وتمّ النصر ..

= وهذه الحكاية وخطّتها من أزده ، تشبه ما يروى عن نساء الطوارق في إفريقيا ، ما لي وما حولها ، وسرّ لتمام الرجال ، أن القبائل يغزو بعضها بعضاً ، فذهب رجال إحدى القبائل ، ولم يتركوا في القرية ، إلا النساء فجاءت قبيلة أخرى مغيرين عليهم ، وكان في النساء امرأة اسمها فاطمة ، فأمرت النساء أن يلبسن ثياب الرجال ، وأن يتلثّمن ، ويأخذن العصيّ الغليظة ، ويعلون سطوح المنازل ، ويردّدن أبياتاً حماسيّة ، تدعو للحرب والاعتزاز بالنّخوة ، رافعات كأنها سلاح.

فهرب الخصم خوفاً من هؤلآء الرجال الملقّين ، فاتّخذ الرجال اللثام من ذلك التاريخ دون النساء ، لشجاعة وعزيمة فاطمة "الطوارقيّة" ، وحيلتها .

= وفي الهند يذكر التاريخ لحاكمة بوفال "سكندر بيغم" التي اعتلت عرش الإمارة ، بعد وفاة زوجها الأمير : "جهان كبر محمد" سنة ١٨٨٤م ، فأدارت بلادها إدارة حكمية حكيمة ، حيث استعملت فيها الحزم

إلى جانب اللين والعدل ، وتمكّنت في مدة ستّ سنوات ، من إيفاء كل الدّيون ، التي كانت على الإمارة ، وألْغَتْ كثيراً من الضرائب ، التي كانت تثقل كاهل الرّعيّة ، فقال عنها أحد قواد الإنجليز : إن "سكندر بيغم" أظهرت نشاطاً ، وحدّة ذهن ، وحسن إدارة لا تقلّ عن ما يظهره أحسن رجل سياسي مقتدر .

ولما حدثت الثورة الكبرى في الهند ، سنة ١٨٥٧م ، رأت من مصلحة بلادها ، أن لا تشترك فيها ، مع أن رعاياها التمسوا منها إعلان الجهاد ، فاستعملت السياسة والحزم ، حتى تمكنت من إخماد تلك الثورة الفكرية ، بل صرفت كل ما في وسعها للمساعدة ، وشكرها الحاكم العام في الهند عام ١٨٦٠م وأعطيت أوسمه ممتازة ، ومع هذا فقد كانت ملتزمة بدينها .

وكانت مسلمة ، حريصة على سمعة بيتها ، فسمعت مرّة أن ابنتها الوحيدة "جهان بيغم" التي تولّت الإمارة بعدها ، قابلت في بيت قريب لها ، أحد أمراء البيت المالك في دلهي ، وطلب الاقتران بها، فأمرت بسجنها في غرفتها الخصوصية عدة أشهر ، وضربتها ضرباً مبرّحاً ، وأمرت بوضع ذلك الشاب في قفص ، وعلّق ذلك القفص على باب القلعة ، عدّة أشهر ، حتى كثرت عليها الوساطات ، فعفت عنه ، وأطلقت سراحه .

= وفي عام ١٨٦٣م سافرت الأميرة "سكندر بيغم" إلى مكة المكرمة ، مع كثيرين من أفراد عائلتها ، لتؤدي فريضة الحج ، ولما قضت حجّها ، وقفلت راجعة لبلادها ، وضعت كتاباً ، وضعت فيه ما شاهدته في رحلتها ، وتوفيت في عام ١٨٦٨م . (مجلة "المقتطف" - المجلد ٥٨)

= أسماء بنت يزيد : محدثة فاضلة ، ومجاهدة جليلة ، كانت من ذوات العقل والخطابة ، حتى لقّبوها بالخطيبة النسائية ، أتت النبي الكريم ﷺ ، وهو في أصحابه ؛ فقالت : بأبي أنت وأمي ، يا رسول الله ، أنا والله وافدة النساء إليك ، إن الله ﷻ بعثك إلى الرجال والنساء ، كافّة فآمنّا بك وبإلهك ، وإنّا معشر النساء ، محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى

شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضّلتم علينا ، في الجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله (ﷻ) وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً ، أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربّينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم في هذا الأجر .

فالتفت النبي الكريم ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلّه ، ثم قال : هل سمعتم بمقالة امرأة قطّ ، أحسن من مسائلها ، في أمر دينها من هذه ؟ فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننّا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا .

فالتفت النبي الكريم ﷺ إليها ، فقال : إفهمي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء ، أن حسن تبعّل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتّباعها موافقته ، يعدل ذلك كله فانصرفت وهي تهلّل .

وروت عن النبي الكريم ﷺ ٨١ / حديثاً ، وشهدت اليرموك ، وقتلتْ يومئذٍ ٩ / من الروم بعمود خبائها . (أسد الغابة)

□ سلمى بنت خصفة :

من فواضل نساء عصرها ، تزوجها المثنى بن حارثة ، ثم خلف عليها سعد بن أبي وقّاص ، بعد موت المثنى ، فشهدت معه قتال القادسيّة ، فلما كان يوم أرمات ، جال الناس ، وكان سعد لا يليق الجلوس ، إلا على بطنه ، فجعل يتململ ، ويحول جزعاً ، فوق قصر العُذَيْب ، فلما رأت ما يصنع أهل فارس ، قالت : وامثنياه ، ولا مثنى للخيل اليوم ، وهي عند رجل قد أضجره ما يرى ، من أصحابه وفي نفسه .

فلطم سعد وجهها ؛ وقال : أين المثنى من هذه الكتيبة ، التي تدور رحاها : يعني أسداً وعاصماً ؟ فقالت : أغيرة وجبناً ، قال : والله لا يعذرني أحد إذا أنتِ لم تعذريني ، وأنتِ ترين ما بي ، والناس أحقّ ألا يعذروني .

ولما اشتدّ القتال بالسّواد ، وكان أبو محجن الثقفي ، قد حُبس و

قيّد في قصر العُذيب ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، مردّه ، فنزل فأتى سلْمَى بنت حفصة ، فقال : يا سلمى هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عنّي وتعيريني البلقاء ، "فرس سعد بن أبي وقّاص" ، فللّه عليّ إن سلمّني الله ، أن أرجع إليك حتى أضع رجليّ في قيدي ، قالت : وما أنا وذاك ؟ فرجع يرسف في قيوده ، وينشد شعراً ، بعد ذلك .

قالت سلمى : إني استخرت الله ، ورضيت بعهدك ، فأطلقته ، وقالت : أما الفرس فلا أعِيْرها ، ورَجَعَتْ إلى بيتها ، فاقتاد الفرس أبو محجن ، فأخرجها من باب القصر ، الذي يلي الخندق ، فركبها ، ثم دبّ عليها ، حتّى إذا كان بحيال الميمنة كبّر ، ثم حمل على ميسرة القوم ، يَلْعبُ برُمْحِهِ ، وسِلاَحِه بين الصفين ، ثم رجع من خلف المسلمين ، فكبّر وحمل على ميمنة القوم ، يلعب بين الصفين ، برُمْحِهِ وسِلاحه ، وكان يَقْصِفُ الناس ، ليلتئذٍ قصفاً منكراً .

وتعجّب الناس منه وهم لا يعرفونه ، ولم يروه من النهار ، وجعل سعد يقول : وهو مشرف على الناس : والله لو لا مَحْبَس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن ، وهذه البلقاء ، وقال بعضهم : إن كان الخضر يحضر المشاهد ، فنظنّ صاحب البلقاء الخضر ، أو من الملائكة ليثبّت المسلمين ، فلما انتصف الليل ، حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو محجن ، حتى دخل من حيث خرج ، فقالت سلمى له : بأيّ شئ حبسك سعد ، فقد وفيت ، قال : بشعر جاء على لساني في وصف الخمر .

وبعد ليلة السّواد ، جاءت سلمى لسعد وصالحته ، وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن ، فدعا به وأطلقه . (البداية والنهاية)

***

الدعوة الإسلامية :

أخلاقيات الحرب في المنظور الإسلامي

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : أ.د/محمد غياث الدين حافظ
(الجامعة الإسلامية شيتاغونغ - بنغلاديش)

المطلب الثالث - أخلاقية الحرب في الإسلام :

إن الحرب في الإسلام قائمة على أسس قانونية وأحكام عادلة لا تتأثر بدوافع الحقد أو الانتقام، ولا تغيرها انفعالات الحرب، أو ردود الفعل الناتجة عن الصراع.

ولقد ورد في كتب الفقه وأبوابها الجهاد والسلم والصلح والمفاوضات والمعاهدات ما يشرح هذه الحقيقة، ويوضحها بشكل دقيق ومتقن.

إن مواقف الرسول العملية، يصنع من هذه القيم والقوانين حقائق لم يشهد لها تاريخ الإنسان من مثيل، وتحدث رسول الله ﷺ إلى أصحابه عن أخلاق الإسلام في الحرب، تلك الأخلاق التي ألزم نفسه بها، كقائد وقدوة، فكان من هديه ﷺ، إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، وكان يوصيه بحسن المعاملة مع من كان معه، وكان يقول: "أغزا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً - وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم

يكونون كأعراب المسلمين ويجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإن خفرة ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا" (٢٥).

إن مواقف الرسول العملية في الحرب واضحة، وإذا نظرنا إلى أهل مكة الذين حاربوا رسول الله ﷺ وآذوه وأخرجوه وأصحابه من ديارهم، كان قد عفا عنهم، بعد أن عاد إلى مكة فاتحاً منتصراً، يقود جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل.

وكان من حقه ﷺ أن يقتصّ منهم، وأن ينزل العقاب العادل، والجزاء المناسب بهم، ولكنه اختار العفو لعظمة خُلقه، والصفح لكريم شمائله، وسمو شخصيته..

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ * فَعَاقِبُوْا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ * وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِيْنَ * وَاصْبِرْ * وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ * وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ * وَلاَتَكُ فِيْ ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُوْنَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا * وَّالَّذِيْنَ هُمْ مُحْسِنُوْنَ ﴾ (النحل/١٢٦-١٢٨).

وحين دخل رسول الله ﷺ مكة، وتمّ له النصر، جمع أهلها المغلوبين، وخطبهم وإليك ما قاله بتلخيص: "لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأعداء وحده، ألا كلّ دم، أو مأثرة،

أو مال يدعى فهو تحت قدميّ هاتين ، إلا سدانة البيت ، وسقاية الحج ، ثم قال : يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا ؛ فأنتم الطلقاء" (٢٦) .

تلك هي أخلاق الإسلام في الحرب والسلم ، وتلك هي مبادؤه الإنسانية التي أرسى قواعدها رسول الإنسانية (ﷺ) ، ومنقذ البشرية محمد ﷺ ، فما أحرى الإنسانية أن تقتفي أثر هذا الرسول العظيم ، وتستضيء بمبادئه النيرة ، وتهتدي بمسيرته الظافرة ، لعلها تتجنب ويلات الحقد ، وشقاء الظلم والانتقام ، الذي تقاسيه البشرية من جراء الحروب والغلبة .

قتل النساء والولدان والشيوخ في الحرب : لا يجوز في الإسلام قتل النساء والولدان والشيوخ في الحرب إلا المقاتلة (٢٧) ، أخرج الإمام مسلم في باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ؛ عن عبد الله بن عمر ﷺ بأن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة ، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان (٢٨) ، وعن أنس ابن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **"انطلقوا باسم الله ، وبالله ، وعلى ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ، ولا صغيراً ، ولا امرأةً ، ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ؛ إن الله يحب المحسنين"** (٢٩) .

لا يجوز في الإسلام قتل النساء والولدان والشيوخ في حرب ولا غيرها ما لم يقاتلوا لنهي الرسول الحبيب ﷺ عن قتلهم ، قال ابن حجر : "واتفق الجميع كما نقل ابن بطال وغيره على منع القصد إلى قتل النساء والولدان ، أما النساء فلضعفهن ، وأما الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر" (٣٠) .

الحديث الذي رواه الأئمة عن رباح بن ربيع حين قال : كنا مع

رسول الله ﷺ في غزوة ؛ فرأى الناس مجتمعين على شئ ، فبعث رجلاً ، فقال : انظر علام اجتمع هؤلآء ؟ فجاء ، فقال : على امرأة قتيل ؛ فقال : "ما كانت هذه لتقاتل" (٣١) .

قوله ﷺ : "ما كانت هذه لتقاتل" فإن مفهومه أنها لو قاتلت لقتلت ، وهذا قول الشافعي والكوفيين ، وقالوا : إذا قاتلت المرأة جاز قتلها ، وقال ابن حبيب من المالكية : لا يجوز القصد إلى قتلها إذا قاتلت إلا أن باشرت القتل وقصدت إليه ، وهذا كذلك حكم الصبي المراهق (٣٢) .

وهناك حالات يختلط النساء والصبيان بالمقاتلين بحيث لا يمكن مقاتلتهم إلا بقتلهم ، وقال الإمام السرخسي في حق هؤلآء : لا يمتنع تحريق حصونهم بكون النساء والولدان فيها فكذلك لا يمتنع ذلك بكون الأسير فيها ، وهم يقصدون المشركين بذلك ، لو منعناهم من ذلك يتعذر عليهم قتال المشركين والظهور عليهم ، ولو قدروا على التمييز فعلاً لزمهم ذلك ، فكذلك إذا قدروا على التمييز بالنية يلزمهم ذلك (٣٣) ، ويجوز قتل كل من هؤلآء إذا كان ملكاً ، أو الشيخ الكبير إن كان ذا رأى يعين في الحرب ، كما أقر رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري على قتل دريد بن الصمة ، وقد تجاوز المائة يوم حنين وهو شيخ لا قتال فيه وكان أصحابه يستعينون برأيي ، والحديث في الصحيحين (٣٤) ؛ لأن الرأي من أعظم المعونة في الحرب ، لا سيما في عصرنا الحاضر ، قال السرخسي : "لا تقتل الشيخ الكبير ومن به زمانة بهذه الصفة ، قالوا : وهذا إذا كان لا يقاتل برأيه ، فأما إذا كان يقاتل برأيه ففي قتله كسر شوكتهم فلا بأس بذلك ، فإن دريد بن الصمة قتل يوم حنين وكان ابن مائة وستين وقد عمي وكان ذا رأي في الحرب" (٣٥) .

قتل الراهب في الحرب :

أما الراهب فلا يقتل في الحرب عند بعض الفقهاء مطلقاً، وعند الجمهور لا يقتل إذا كان في صومعته ولا يخلط مع الناس، ولكن إذا خلط مع الناس جاز قتله ؛ لأن الناس يقتدون بهم، فهم يحثون الناس على القتال فعلاً، وإن كانوا لا يحثونهم على ذلك لا يقتلون، قال المرداوي الحنبلي في قتل الراهب : "وقيد بعض الأصحاب عدم قتل الراهب بشرط عدم مخالطة الناس فإن خالط قتل وإلا فلا" (٣٦) .

ونقل الإمام السرخسي رأي الحنفية في المبسوط ونصه : قال أبو يوسف : سألت أبا حنيفة عن أصحاب الصوامع والرهبان، فرأى قتلهم حسناً، وفي السير الكبير مروي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنهم لا يقتلون، و هو قول أبي يوسف، و محمد رحمهم الله تعالى، وقيل : لا خلاف في الحقيقة، فإنهم إن كانوا يخالطون الناس يقتلون عندهم جميعاً ؛ لأن المقاتلة يصدرون عن رأيهم، وهم الذين يحثونهم على قتال المسلمين وإن كانوا طينوا على أنفسهم الباب ولا يخالطون الناس أصلاً، فإنهم لا يقتلون ؛ لأنهم لا يقاتلون بالفعل ولا بالحث عليه (٣٧) .

إتلاف الأموال :

يجوز إتلاف مال الأعداء في الحرب إذا كانت منفعته عائدة على الدين والمسلمين أو كان مضرة بالكافرين، وكيف لا ؟ وقد أجاز الإسلام قتل البشر الذين يقفون أمام الدعوة، فمن باب أولى إتلاف أموالهم إن كان فيها إضرار بهم (٣٨) .

قطع الأشجار والزرع وقتل الحيوانات :

قال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّيْنَةٍ * أَوْ تَرَكْتُمُوْهَا * قَائِمَةً عَلَى أُصُوْلِهَا * فَبِإِذْنِ اللهِ * وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِيْنَ ﴾ (الحشر/٥) ، قوله تعالى :

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّيْنَةٍ ﴾ "ما" في محل نصب بـ "قطعتم" كأنه قال : أي شئ قطعتم، وذلك أن النبي الكريم ﷺ لما نزل على حصون بني النضير - وهي البويرة - حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أحد، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فشق ذلك عليهم ؛ فقالوا وهم يهود أهل الكتاب : يا محمد ! ألست تزعم أنك نبي تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر ؟ وهل وجدت فيما أنزل الله عليك إباحة الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي الكريم ﷺ، و وجد المؤمنون في أنفسهم حتى اختلفوا (٣٩)، فنزلت الآية على هذا النزاع، أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت "ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله" (٤٠).

ومن هنا اتفق العلماء على جواز قطع الأشجار والزرع لو كانت هناك مصلحة للمسلمين أو مضرة بالكافرين أثناء الحرب مستدلاً بفعل النبي الكريم ﷺ المذكور آنفاً (٤١) .

قال الكاساني : "ولا بأس بقطع أشجارهم المثمرة وغير المثمرة وإفساد زروعهم .. ولا بأس بإحراق حصونهم بالنار، وإغراقها بالماء وتخريبها وهدمها عليهم ونصب المنجنيق عليهم .." ؛ ثم علل بما ذهب إليه قائلاً : "لأن كل ذلك من باب القتال لما فيه من قهر العدو وكبتهم وغيظهم، ولأن حرمة الأموال لحرمة أربابها ولا حرمة لأنفسهم حتى يقتلون فكيف لأموالهم" (٤٢) ولا يجوز القطع إذا كان فيه ضرر بالمسلمين لحاجتهم إلى الاستظلال أو الاستتار به أو الأكل منه (٤٣) .

قال الإمام القرطبي : ذهب بعض العلماء إلى أنه إذا علم المسلمون أن ذلك لهم لم يفعلوا، وإن يئسوا فعلوا ؛ قاله مالك في الواضحة، وعليه يناظر أصحاب الشافعي، وابن العربي : والصحيح

جواز ذلك ، وقد علم رسول الله ﷺ أن نخل بني النضير له ، ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم و وهناً فيهم حتى يخرجوا عنها (٤٤) ، واتفق الفقهاء على قتل الحيوانات في الحرب لو كانت هناك منفعة عائدة على المسلمين أو مضرة بالكافرين (٤٥) .

الخاتمة - في نهاية المطاف نود أن نسجّل أهم النتائج التي تم التوصل إليها :

- إن الحرب في الإسلام تختلف عن الحرب عند غير المسلمين باعتبارها أسلوباً و وسيلةً من الوسائل التي شرعها الإسلام لتحقيق أهدافه وغاياته ، ملتزماً بكل القيم النبيلة ، وقائماً على أسس قانونية وأحكام عادلة لا تتأثر بدوافع الحقد أو الانتقام .
- الإسلام لا يشجع على الحرب لأجل الحرب ، ولا يتمنى لقاء العدو .
- هناك بواعث عديدة للحرب في الإسلام ، وأهمها حماية الدين و إزالة القوة أمام دعوة التوحيد لكي يحمل المسلمون راية التوحيد ، وهم مأمورون بنشرها ، وإذا وقفت أمامها القوة السياسية أو أصحاب الأموال أو التجمعات العدوانية أياً ما كان ، يضطر المسلمون لمواجهتهم بالحرب إلى أن يفتحوا الباب أمام الدعوة الخالدة ، أما إذا لم يقفوا أمام الدعوة ؛ فلا يجوز قتالهم .
- نظم الإسلام الحرب ، فوضع أخلاقيات للحرب ولم يسمح بأمور وحشية كما فعل جنود أمريكا في أبو غُريب في العراق ولا تزال ...!

---

(٢٥) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسافوري : ج/٣ ، ص/١٣٥٧ (دار إحياء التراث العربي - بيروت) .

(٢٦) تاريخ الطبري : محمد بن جرير الطبري : الطبعة الأولى ، ج/٢ ، ص/١٦١

(دار الكتب العلمية - بيروت) .(٢٧) المقاتلة : مفاعلة في المشاركة من الجانبين .

(٢٨) صحيح مسلم : ج/٣ ، ص/١٣٦٤ .

(٢٩) سنن أبي داؤد : سليمان بن الأشعث أبو داؤد السجستاني الأزدي : ج/٣ ، ص/٣٧ (دار الفكر) .

(٣٠) فتح الباري : الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : ج/٦ ، ص/١٤٨ (دار المعرفة - بيروت) .

(٣١) سنن أبي داؤد : ج/٣ ، ص/٥٣ ، صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي : ج/١١ ، ص/١١٢ الطبعة الثانية (مؤسسة الرسالة - بيروت) .

(٣٢) انظر : فتح الباري : ج/٦ ، ص/١٤٨ .

(٣٣) انظر : المبسوط - للسرخسي : ج/١٠ ، ص/١٣٧ .

(٣٤) صحيح البخاري : ج/٤، ص/١٥٧١. (٣٥) المبسوط - للسرخسي : ج/١٠، ص/١٣٧.

(٣٦) الإنصاف : المرداوي ، علي بن سليمان المردوي : ج/٤ ، ص/١٢٨ (دار إحياء التراث العربي - بيروت) .

(٣٧) المبسوط - للسرخسي : ج/١٠ ، ص/١٣٧ (دار المعرفة - بيروت) .

(٣٨) في الجهاد آداب وأحكام - للشهيد عبد الله عزام : ص/٢٢ .

(٣٩) انظر : تفسير القرطبي : ج/١٨ ، ص/٦ .

(٤٠) صحيح البخاري : ج/٤ ، ص/١٤٧٩ ، صحيح مسلم : ج/٣ ، ص/١٣٦٥ .

(٤١) الأم - لمحمد بن إدريس الشافعي : ج/٤ ، ص/٢٥٨ ، بدائع الصنائع - للكاساني : ج/٧ ، ص/١٠٠ ، الكافي في فقه ابن الحنبل - لابن قدامة : ٢٦٩/٤ .

(٤٢) بدائع الصنائع - للكاساني : ج/٧ ، ص/١٠٠ ، الطبعة الثانية (دار الكتاب العربي - بيروت) .

(٤٣) الكافي في فقه ابن حنبل - لابن قدامة : ج/٤ ، ص/٢٦٩ ، الطبعة الخامسة (المكتبة الإسلامية - بيروت) . (٤٤) تفسير القرطبي : ج/١٨ ، ص/٦ .

(٤٥) انظر : بدائع الصنائع - للكاساني : ج/٧ ، ص/١٠٠ .

مكتبة خزينة الكتب لندوة العلماء

الخرطوم :
عاصمة إسلامية أخرى تحت النار

بقلم : معالي الأستاذ الدكتور عز الدين إبراهيم
المستشار الثقافي لسمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة)

٣- بلاد السودان ودخول الإسلام :

تطلق تسمية : (السودان) حالياً ، على البلاد التي حملت منذ الاستقلال سنة ١٩٥٦م تسمية : (جمهورية السودان) ، بصفة رسمية معترف بها من قبل جميع الدول ، ويحدها شمالاً مصر ، وشرقاً البحر الأحمر وإرتريا وإثيوبيا ، وجنوباً كينيا و أوغندا والكونغو الديمقراطية ، وغرباً ليبيا وتشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى (انظر الخريطة) ، وهذا الفهم صحيح حتى منذ ملة مائتي سنة مضت أي قبل دخول محمد علي باشا .

أما (بلاد السودان) ، كما فهمت طوال القرون الماضية فهي أوسع من ذلك بكثير ، ومن المتفق عليه بين المؤرخين والجغرافيين العرب منذ القرون الوسيطة ، وتابعهم في ذلك الكتاب الغربيون ، أن بلاد السودان هي المنطقة التي يسكنها مَنْ سموا في المراجع القديمة بالسود في إفريقيا ، والتي تقع إلى الجنوب من شمال إفريقيا ، وتمتد من الصومال وإثيوبيا في الشرق إلى السنغال في الغرب ، أو بلغة أخرى هي الحزام المستعرض في وسط إفريقيا من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي ، شاملاً كل ما كان وما استجد من دول في ظروف مختلفة ، ولم يحتفظ بتسمية : (السودان) إلا الجزء الشرقي الذي ذكرناه ، والذي يتبادر إلى أذهان جميع المعاصرين .

والذي يراجع ما كتبه الرحالة العربي ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ-١٣٧٧م) عن السودان ، في الفصل الثامن عشر (وفقاً لتحقيق العلامة المغربي عبد الهادي التازي) ، يجد أنه مقصور على دول ومدن من غرب إفريقيا فقط ، وهي (سجلْماسَّة) وتقع على خط عرض مراكش شرقاً ، و

(مالي) وزار فيها المركز الديني والعلمي الشهير (تُومْبوكْتو) ، و (شنقيط) مركز العلماء في موريتانيا ، ولذلك حُق للدكتور حسين مؤنس في كتابه : "ابن بطوطة ورحلاته" أن يسمي هذه المنطقة في رحلة ابن بطوطة (السودان الأطلسي)، ويشبه هذا موقف ابن فضل الله العُمَري (ت٧٤٩هـ-١٣٤٩م) في الباب الحادي عشر من مسالك الأمصار ، إذ ذكر ملوكاً في جنوب الغرب من البربر ، وقال : إن زيّهم هو زي المغاربة .

وإذا اقتصرنا من تاريخ السودان الشرقي على الفترة التي بدأت بالقرن السابع الميلادي نجد أنه قد سكنته قبائل ذات عراقة مبكرة ، واحتك من جميع الجهات الأربع بأعراق وشعوب مختلفة ، واستقبل باستمرار هجرات متنوعة ، وتبلورت أوضاعه الديمغرافية والسياسية واللغوية والدينية في صورة ممالك وسلطنات متعددة ، بعضها يستحق تسمية المملكة أو السلطنة من حيث الاستمرار وقوة الحكم ، وبعضها الآخر لم يزد عن تجمعات قبلية تسمّتْ بالممالك ، ونقتصر في هذا المقال على ذكر ثلاث ممالك رئيسة ، هي : مملكة النوبة المسيحية في الشمال ، ومملكة الفونج الإسلامية في الوسط أولاً ثم استوعبت الشمال نفسه ، ومملكة الفور في دارفور التي تمثل غرب السودان .

فأما مملكة النوبة ، والتي قد تُذكر بالجمع فيقال ممالك النوبة ، نظراً للتداخل والتتابع التاريخي للممالك المسيحية في شمال السودان ، فقد استمرت حتى بداية القرن السادس عشر ، وكانت عاصمتها دنقلة ، وقد دخلت المسيحية إليها من قديم على يد المبشرين اليونانيين ثم المصريين القادمين من صعيد مصر ، ولم يقم العرب المستقرون في مصر بفتح مملكة النوبة ، واكتفوا بحماية حدودهم معها لما أظهرته النوبة من شجاعة وقوة مقاومة وبراعة في استخدام النَّبل ، وقد كان موقف الوالي عمرو بن العاص حتى من صعيد مصر الذي تمركزت فيه المسيحية القبطية موقف

مسالَمة ، وكذا الحال مع خليفته عبد الله بن أبي السرح ، فيما عدا مناوشات خفيفة .

على أنه إذا كانت الجيوش العربية الإسلامية لم تدخل السودان ، نظراً لأن الاهتمام حينئذ كان موجهاً إلى شمال إفريقيا وممتداً بعد ذلك إلى أسبانيا وجنوب فرنسا ، فإن الدين الإسلامي قد دخل السودان بالكلمة والدعوة الفردية والموعظة الحسنة ، على أيدي المهاجرين والتجار ، وبشيوع الدين الإسلامي في النوبة ، وبروز مملكة الفونج الإسلامية في وسط السودان وامتدادها السلمي شمالاً ، انتهت مملكة النوبة بصفتها القديمة ، وتضعضع الوجود المسيحي في شمال السودان .

وأما مملكة الفونج الإسلامية ، وعاصمتها سِنّار ، فقد نشأت في بداية القرن السادس عشر ، واستمرت حتى القرن التاسع عشر ، حينما دخل محمد علي باشا السودان ، وكانت لُحمة هذه المملكة وسَداها القبائل العربقة والمستعربة التي استقرت في وسط السودان ، ودينها الإسلام ، وحافظت الفونج على سلامة أراضيها ضد هجمات حبشية ، وتهادنت مع السلطان العثماني باعتبارها مملكة إسلامية لا تعادي الخلافة العثمانية .

وأما مملكة الفور فهي أيضاً إحدى الممالك التي نشأت في دارفور ، وتمركزت حول جبل مَرّة ومدينة الفاشر ، وغلب عليها الإسلام منذ القرن السابع عشر كما سنذكر ، وزاد من تدعيمه فيها بعد ذلك جهود الإمام محمد أحمد المهدي الذي هو أصلاً من دنقلة .

وعلى مر العصور ، كانت الهجرة العربية إلى السودان مستمرة ، من بوابات أربع : من البوابة الشرقية بعبور البحر الأحمر من شبه الجزيرة العربية ، ومن البوابة الشرقية الشمالية باختراق الصحراء الشرقية من طريق سيناء ثم الانحدار جنوباً ، ومن البوابة الشمالية من صعيد مصر ، ومن البوابة الغربية عن الطريق الليبي وتشاد ، وتعددت دوافع الهجرة ،

فمنها التعامل التجاري ومنها التوصل إلى الخصوبة الزراعية والكلأ ، ومنها البحث عن الذهب والمعادن ، ومنها الاضطرار لتوزع العرب بعد انهيار سد مآرب في اتجاهات شتى ، واختلط العرب المهاجرون بأهالي البلاد من أعراق شتى ، فلم يبق عربي لم تختلط سلالته بدماء زنجية ، ولا زنجي بدماء عربية ، وساد اللسان العربي حيث لم يجد أمامه ما ينافسه غزارة وطلاوة وقدرة على التعبير الواضح الدقيق ، ونشأت ثقافة جديدة اشترك الجميع في صنعها ، وصبغها الإسلام بصبغته ، وبدأت قبائل السودان وأعراقه تتمتع بهُوية جديدة وحَّدت بينها وأكسبتها صفة الأمة المتماسكة ، بعد فترة غير قصيرة من التباين العرقي .

وانتشار الإسلام في السودان جاء تتويجاً لهذا التمازج السلمي الذي تم بسلام وبإنضاج هادئ على مدى قرون ، ولم تكن هناك جهود جماعية منظمة لنشر هذا الدين ، وإنما تم بالطريقة الفردية التي نشرته في معظم بلاد العالم ، وربما لعب التصوف أيضاً دوراً في تقريبه إلى القلوب ، فالميول الروحية عند الإفريقيين تلاءمت مع الممارسات الصوفية .

وعلى كل حال ، فإن السودان مثال بارز لانتشار الإسلام عن طريق الدعوة لا الحرب ، إذ أن السيف لم يُمشق في تلك البلاد أبداً لنشر الدين ، ودعوى نشر الإسلام بالسيف في العالم التي يلوكها بعض المتحاملين على الإسلام والمسيئين في تفسير تاريخه ، لم تثبت أمام التحقيق العلمي المنصف الذي قام به بعض العلماء حتى من غير المسلمين ، ومن أبرز هؤلآء المؤرخ الإنجليزي توماس أرنولد ، الذي درس انتشار الإسلام في العالم ، وفقاً (للمنهج المكاني) ، أي بدراسة انتشاره قارة بعد قارة ، وأحياناً قطراً بعد قطر ، وانتهى إلى إبطال هذه الدعوى في كتابه الذي ترجمه الدكتور حسن إبراهيم حسن بعنوان : (الدعوة إلى الإسلام) ، وظهر مؤخراً في مصر كتاب للدكتور نبيل لوقا بباوي بعنوان : "انتشار الإسلام بحد السيف : بين

الحقيقة والافتراء" ، واتبع فيه (المنهج الزماني) بدراسة انتشار الإسلام قرناً بعد قرن ، وانتهى إلى نفس النتيجة ، والباحثان غير مسلمين .

وقد يتساءل متحير : **وكيف تفسر الفتوح الإسلامية ؟** والجواب هو أنه لابد من التمييز بين الفتوح ، وبين نشر الدين ، فالفتوح في أي زمان تُدرس وفقاً لظروفها التاريخية المحيطة بها ، وقد كان للإسلام دولة تحوطها دول ، في أزمنة لها معاييرها في تعامل الدول مع بعضها ، وكان للدول التي تحيط بدولة الإسلام معاملاتها التوسعية والحربية وضرباتها الاستباقية وطموحاتها الإمبراطورية ، فمن الذي ينكر مثلاً دور الرومان في إقامة إمبراطوريتهم العالمية التي ما زالت آثارها ماثلة حتى الآن ، ونراها في بيروت وبعلبك والأردن وليبيا وسويسرا واسكتلنده ، وإزاء سياسات الدول الأخرى كان لدولة الإسلام موقف تثبت فيه وجودها وتحمي كيانها وتحافظ على أهليها ، ولو لم تفعل ذلك ، لأبادها الآخرون ، فهذه هي الفتوح ، أما نشر الدين فقد كان يحكمه التخيير بلا إكراه والبيان بلا إغواء ، ولذلك بقى مسيحيو بلاد الشام على دينهم بكنائسهم وصلبانهم وحرياتهم في العبادة ، وبقي أقباط مصر على دينهم وبقيت لهم أديرتهم ومقدساتهم ، ومن يزر ضاحية "مصر القديمة" في القاهرة يجدها محافظة على الآثار القبطية غير منقوصة وكما كانت منذ إقامة المسيح عليه السلام وأمه .

ومما لا شك فيه أن الدعوة بالكلمة ، قدّ استفادت من القوة الزمنية للدولة الإسلامية ، ولكن هذا لم يكن من قبيل التلازم السببي ، إذ يظل موقف الإسلام صريحاً أولاً بتحريم الإكراه في قبول الدين لقوله تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ ﴾ (البقرة/٢٥٦) ، وثانياً الاعتراف بالآخر لقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ﴾ (الكافرون/٦) وهي آية عامة لعموم اللفظ وغير مقصورة على مناسبة نزولها ، وكونها في كفار قريش ، وهي مُحكمة غير منسوخة كما استخلص المحققون ، وانظر في ذلك تفسير (صفوة البيان) لشيخنا المرحوم المفتي حسنين مخلوف ، ففيه شروح كافية .

(يتبع)

الفقه الإسلامي :

البدل النقدي للزكاة

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو احمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

اختلف الفقهاء في دفع القيمة في الزكاة بدلاً من عينها ، فإذا وجب على رب المال شاة في غنمه ، أو ناقة في إبله ، أو إردب في قمحه ، أو قنطار في ثمره وفاكهته ، فهل يتحتم عليه أن يخرج هذه الأشياء عينها ، أم يخير بينها وبين أداء قيمتها بالنقود مثلاً ، فإذا أخرج القيمة أجزأته وصحت زكاته ؟ اختلف في ذلك الفقهاء على أقوال ، فمنهم من يمنع ذلك ، ومنهم من يجيزه بلا كراهة ، ومنهم من يجيزه مع الكراهة ، ومنهم من يجيز في بعض الصور دون بعض ، وأكثر المتشددين في منع إخراج القيمة هم الشافعية والظاهرية ، ويقابلهم الحنفية فهم يجيزون إخراجها في كل حال ، وعند المالكية والحنابلة روايات وأقوال .

وسبب الخلاف ، يرجع إلى اختلاف زوايا النظر إلى حقيقة الزكاة : هل هي عبادة وقربة لله تعالى أم حق مرتب في مال الأغنياء للفقراء ؟ "أي أنها تعتبر كضريبة مالية مفروضة على مالك النصاب" ؟ والحق أن الزكاة تحمل المعنيين ، ولكن بعض الفقهاء كالشافعي وأحمد في المشهور عنه وبعض المالكية ، وكذلك الظاهرية ، غلبوا معنى العبادة والقربة في الزكاة ، فحتموا على المالك إخراج العين التي جاء بها النص ، ولم يجوزوا له إخراج القيمة ، وغلب أبو حنيفة وأصحابه وآخرون من الأئمة الجانب الآخر : أنها حق مال قصد به سد خلة الفقراء ، فجوزوا إخراج القيمة .

واستدل المانعون من إخراج القيمة بالآتي : قال إمام الحرمين الجويني "وهو شافعي" : أن الزكاة قربة لله تعالى ، وكل ما كان ذلك

فسبيله أن يتبع فيه أمر الله تعالى ، ولو قال إنسان لوكيله : اشتر ثوباً ، وعلم الوكيل أن غرضه التجارة ، و وجد سلعة هي أنفع لموكله ، لم يكن له مخالفته ، وإن رآه أنفع ، فما يجب لله تعالى بأمره أولى بالاتباع ، وكما لا يجوز في الصلاة إقامة السجود على الخد والذقن ، مقام السجود على الجبهة والأنف ، لأن ذلك مخالفة للنص ، وخروج على معنى التعبد ، كذلك لا يجوز في الزكاة إخراج قيمة الشاة أو البعير ، أو الحب أو الثمر المنصوص على وجوبه ، لأن ذلك خروج على النص ، وعلى معنى التعبد ، والزكاة أخت الصلاة ، وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر بإيتاء الزكاة في كتابه أمراً مجملاً بمثل قوله : ﴿ وَآتُوْا الزَّكَاةَ ﴾ ، وجاءت السنة ففصلت ما أجمله القرآن ، وبينت المقادير المطلوبة ، بمثل قوله ﷺ : **"في كل أربعين شاة شاة" "في كل خمسة من الإبل شاة"** فصار كأن الله تعالى قال : وآتوا الزكاة من كل أربعين شاة شاة ، فتكون الزكاة حقاً للفقير بهذا النص ، ولا يجوز إبطال حقه في العين ، وقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي المالكي إلى ما يؤكد هذا المعنى ، كما أن الزكاة وجبت لدفع حاجة الفقير ، وشكراً لله على نعمة المال ، والحاجات المتنوعة ، فينبغي أن يتنوع الواجب ، ليصل إلى الفقير من كل نوع ما تدفع به حاجته ، ويحصل شكر النعمة بالمواساة من جنس ما أنعم الله عليه به ، كما روى أبو داؤد وابن ماجة أن النبي الكريم ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : "خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الإبل والبقر من البقر" وهو نص يجب الوقوف عنده ، فلا يجوز تجاوزه إلى أخذ القيمة ، لأنه في هذا الحال سيأخذ من الحب شيئاً غير الحب ، ومن الغنم شيئاً غير الشاة .. إلخ ، وهو خلاف ما أمر به الحديث .

أما الذين أجازوا إخراج القيمة بدلاً من العين فاستندوا إلى : أن الله تعالى يقول : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً** ﴾ فهو تنصيص على أن المأخوذ مال ، والقيمة مال ، فأشبهت المنصوص عليه ، أما بيان النبي

الكريم ﷺ لما أجمله القرآن بمثل : **"في كل أربعين شاة شاة"** فهو للتيسير على أرباب المواشي لا لتقيد الواجب به ، فإن أرباب المواشي تعز فيهم النقود ، والأداء مما عندهم أيسر عليهم ، وقد روى البيهقي بسنده ، والبخاري معلقاً عن طاووس : قال معاذ باليمن ائتوني بخميس أو لبيس آخذه منكم مكان الصدقة ، فإنه أهون عليكم وخير للمهاجرين بالمدينة ، وفي رواية : ائتوني بعرض ثياب آخذه منكم مكان الذرة والشعير ، وذلك أن أهل اليمن كانوا مشهورين بصناعة الثياب ونسجها ، فدفعها أيسر عليهم ، على حين كان أهل المدينة في حاجة إليها ، وقد كانت أموال الزكاة تفضل عن أهل اليمن فيبعث بها معاذ إلى المدينة عاصمة الخلافة ، وقول معاذ : هذا يدلنا على أنه لم يفهم من الحديث الآخر الذي أمره فيه الرسول بأخذ الجنس : **"خذ الحب من الحب والشاة من الإبل"** أنه إلزام بأخذ العين ، ولكن لأنه هو الذي يطالب به أرباب الأموال ، والقيمة إنما تؤخذ باختيارهم ، وإنما عين تلك الأجناس في الزكاة تسهيلاً على أرباب الأموال ، لأن كل ذي مال إنما يسهل عليه الإخراج من نوع المال الذي عنده ، كما جاء في بعض الآثار : أنه عليه السلام جعل في الدية على أهل الحلل حللاً ، وروي أحمد والبيهقي : أن النبي الكريم ﷺ أبصر ناقة مسنة في إبل الصدقة فغضب ، وقال : (قاتل الله صاحب هذه الناقة **"يعني الساعي الذي أخذها"**) ؛ فقال : يا رسول الله ! أني ارتجعتها ببعيرين من حواشي الصدقة ، قال : "فنعم إذن" وهذا الحديث صالح للاحتجاج به من حيث السند ، ومن حيث الدلالة ، فإن أخذ الناقة ، ببعيرين إنما يكون باعتبار القيمة ، إن المقصود من الزكاة إغناء الفقير ، وسد خلة المحتاج ، وإقامة المصالح العامة للملة والأمة التي تعلو بها كلمة الله ، وهذا يحصل بأداء القيمة ، كما يحصل بأداء الشاة ، وربما يكون تحقيق ذلك بأداء القيمة أظهر وأيسر ، ومهما تتنوع الحاجات فالقيمة قادرة على دفعها ، ثم إنه يجوز بالإجماع العدول عن العين إلى

الجنس ، بأن يخرج زكاة غنمه ، شاة من غير غنمه ، وأن يخرج عشر أرضه حباً من غير زرعه ، فجاز العدول أيضاً من جنس إلى جنس ، روى سعيد بن منصور في سننه عن عطاء قال : كان عمر بن الخطاب ﷺ يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم .

بعد التأمل في أدلة الفريقين يتبين رجحان ما ذهب إليه الحنفية ، والحقيقة أن تغليب جانب العبادة في الزكاة وقياسها على الصلاة في التقيد بما ورد من نص فيما يؤخذ ، لا يتفق وطبيعة الزكاة ، التي رجح فيها مخالفو الحنفية أنفسهم ، أنها حق مالي وعبادة متميزة ، فأوجبوها في مال الصبي والمجنون ، حيث تسقط عنه الصلاة ، وكان أولى بهم أن يذكروا هنا ما قالوه هناك ، وردوا به على الحنفية الذين أسقطوا الزكاة من غير المكلفين قياساً على الصلاة ، والواقع أن رأي الحنفية أليق بعصرنا وأهون على الناس وأيسر في الحساب ، خاصة إذا كانت إدارة أو مؤسسة تتولى جمع الزكاة وتفريقها ، فإن أخذ العين يؤدي إلى زيادة نفقات الجباية ، بسبب ما يحتاجه نقل الأشياء العينية من مواطنها إلى إدارة التحصيل ، وحراستها والمحافظة عليها من التلف ، وتهيئة طعامها وشرابها وحظائرها إذا كانت من الأنعام من مؤنة وكلف كثيرة ، مما ينفي مبدأ الاقتصاد في الجباية ، وقد روي هذا الرأي عن عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، وإليه ذهب سفيان الثوري ، وروى عن أحمد مثل قولهم في غير زكاة الفطر ، قال النووي : وهو الظاهر من مذهب البخاري في صحيحه ، وقال ابن رشيد : وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم ، لكن قاده إلى ذلك الدليل ، وذلك أن البخاري عقد باباً لأخذ العروض في الزكاة "وهو أخذ بالقيمة" مستدلاً بأثر معاذ الذي رواه عنه طاووس ، حيث طلب أن يأخذ منهم الثياب في الصدقة مكان الذرة والشعير ، فإن ذلك أهون عليهم وخير لأصحاب النبي بالمدينة ، كما استدل بأحاديث أخرى منها ما جاء في كتاب أبي بكر في صدقة الماشية إذ جاء فيه : ومن بلغت صدقته بنت

مخاض وليست عنده ، وعنده بنت لبون فأنها تقبل منه ، ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين ، وأخذ سن بدل سن ، مع إعطاء قيمة الفرق دراهم أو شياها ، يدل على إن أخذ العين ليس مطلوباً بالذات ، ولكن للتيسير على أرباب الأموال ، وذهب ابن تيمية مذهباً وسطاً بين الفريقين المتنازعين قال فيه : الأظهر في هذا أن إخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع منه ، ولهذا قدر النبي الكريم ﷺ الجبران بشاتين أو عشرين درهما ، ولم يعدل إلى القيمة ، و لأنه متى جوز إخراج القيمة مطلقاً ، فقد يعدل المالك إلى أنواع رديئة ، وقد يقع في التقويم ضرر ، ولأن الزكاة مبناها على المواساة ، وهذا معتبر في قدر المال وجنسه ، وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة أو العدل فلا بأس به ، مثل أن يبيع ثمر بستانه أو زرعه بدراهم ، فهنا إخراج عشر الدراهم يجزئه ، ولا يكلف أن يشتري ثمراً أو حنطة ، إذ كان قد ساوى الفقراء بنفسه ، وقد نص أحمد علي جواز ذلك ، ومثل أن يجب عليه شاة في خمس من الإبل ، وليس عنده من يبيعه شاة ، فإخراج القيمة هنا كاف ، ولا يكلف السفر إلى مدينة أخرى ليشتري شاة ، ومثل أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه إعطاء القيمة لكونها أنفع فيعطيهم إياها أو يرى الساعي أنها أنفع للفقراء ، كما نقل عن معاذ بن جبل أنه كان يقول لأهل اليمن : ائتوني بخميس أو لبيس أيسر عليكم وخير لمن في المدينة من المهاجرين والأنصار ، وهذا قد قيل أنه قال في الزكاة ؛ وقيل في الجزية ، وهذا قريب مما اختاره الدكتور يوسف القرضاوي ، فالحاجة والمصلحة في عصرنا تقتضي جواز أخذ القيمة ما لم يكن في ذلك ضرر بالفقراء أو أرباب المال ...(١) .

***

(١) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة - يوسف القرضاوي : ج/٢ ، من ص/٧٩٩ إلى ص/٨٠٨ .

لفتة للإمام و المؤذن

بقلم : الشيخ علي بن عبد الله الشبل
(الرياض - المملكة العربية السعودية)

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على رسوله وآله ومن والاه - وبعد :

فهذه همسة إلى أصحاب الفضيلة : أئمة المساجد ومؤذنيها ، حداها لهم حب النصح وجلالة المهمة ؛ إذ بهم قيام فريضة من أهم فرائض الدين ، وعليهم سداد وكمال فرض الصلاة التي تكرر على المسلمين خمس مرات في يومهم وليلتهم ، فأعانهم مولاهم على ما أنيطوا فيه من الواجب و وفقهم إلى لزوم السنة ، وحاذرهم البدعة والهوى ، وغفر لهم ولو الدنيا ومشايخنا والمسلمين أجمعين - آمين ، واختصرتها طلباً لذيوعها والإفادة منها .

أهمية الإمامة وفضلها :

وهي الإمامة الصغرى بإمامة المسلمين في الصلاة ، والتي يقتدي المصلون بالإمام في صلواتهم المفروضة والمستحبة كالكسوف والخسوف والاستسقاء ...

والتي لو لم يكن فيها من الأهمية والفضل إلا تولّي النبي الكريم ﷺ لها ، ولم يتخلف عنها إلا لعذر ..

- كيف ومنها أن المؤمنين يقتدون بهم في أداء أهم فرائضهم في أهم فريضة من فرائض الإسلام .

- و منها أن لهم مثل أجر مأموميهم ، لأن الدال على الخير كفاعله .

ملاحظات وتوجيهات :

١- ينبغي أن يختار للإمامة الأحفظ الأفقه الأعلم بالسنة ، فهذه معايير المفاضلة والموازنة بين الأئمة لحديث ابن مسعود ﷺ يرفعه : "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سلماً ، وفي رواية : سناً ، ولا يؤمَّن الرجلُ الرجلَ في سلطان (رواه مسلم) ، ولحديث عمرو بن سلمة قال : قال أبي : جئتكم من عند النبي الكريم ﷺ حقاً ؛ فقال : "إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآناً" ، قال : فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآنا ، فقدموني وأنا ابن ست أو سبع سنين (رواه البخاري) ، فليس المعيار حسن الصوت ، وجماله ، بل يكفي إقامة التلاوة على قواعدها ، مع مراعاة جانب التقى والديانة ، ويجب أن يُبعد عنها الفاسق والفاجر في الأفعال والاعتقاد ، ولا تصح في قول المحققين إمامتهم .

٢- كما يجب على الأئمة المحافظة والمواظبة على إمامتهم واعتبار ذلك أمانة ملقاة عليهم ، فلا يتساهلون في التخلف عن جماعتهم ، وإن احتاجوا لذلك أقاموا من ينيبونهم عنهم ممن هم أهل للإنابة ، لا سيما وقد نص الفقهاء على أن "يحرم أن يُؤم في مسجد قبل إمام الراتب إلا بإذنه أو عذره" ، فلا يجوز الافتيات عليهم والحالة هذه !

٣- وأيضاً يجب على الأئمة مراعاة أحوال جماعاتهم من عدم الإضرار بهم والتطويل ، والمشقة عليهم بذلك لما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : "إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف ، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف وذا الحاجة ، فإذا صلّى وحده فليصل كيف

شاء" .

وفي حديث جابر بن عبد الله أن معاذاً رضي الله عن الجميع، صلّى بأصحابه العشاء فطول عليهم، فقال النبي الكريم ﷺ وهو غاضب: "أتريد أن تكون يا معاذ فتّاناً؟ إذا أممت فاقرأ بالشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ باسم ربك، والليل إذا يغشى" (متفق عليه، واللفظ لمسلم).

هذا وإنك لترى تهاوناً في التزام السنة في القراءة عند جمع من الأئمة، حيث تطرد قراءاتهم في الصلاة من أواسط السور الطوال أو أواخرها أو أوائلها؛ حتى في صلاة المغرب! مع أن الغالب على سنته ﷺ إكمال السورة في القراءة، ولذا يقول شيخ الإسلام: "وينبغي أن يفعل غالباً ما كان النبي الكريم ﷺ يفعله غالباً، ويزيد وينقص للمصلحة"، وما كان يفعله النبي الكريم ﷺ غالباً، هو:

١- في الفجر من طوال المفصل هو من (ق إلى المرسلات)، وربما قرأ من قصاره لعذر كمرض وسفر، وفي الجمعة (الم السجدة والإنسان).

٢- في الظهر والعصر والعشاء من أواسط المفصل، وهو من (عم إلى الضحى) وربما قرأ من قصاره.

٣- في المغرب من قصار المفصل، وقد قرأ فيه بالأعراف كاملة والمرسلات والطور والدخان.

٤- وفي صلاة الجمعة (الأعلى والغاشية) أو (الجمعة والمنافقون) أو (الجمعة والغاشية) (رواها مسلم).

٥- وفي صلاة العيدين (الأعلى والغاشية) ولو اجتمع مع الجمعة في يوم واحد (رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما).

٦- وفي صلاة الكسوف والخسوف يطيل القراءة في القيام.

وفي سنته الغالبة في الجميع تطويل الركعة الأولى على الثانية.

وليحذر أصحاب الفضيلة في قراءتهم وتكبيراتهم قصر الممدود ومد المقصور بما يحيل معناه أو يغيره لما يترتب عليه من نقص الصلاة أو فسادها!

٤- وينبغي على الخطباء في الجمع وغيرها تقصير الخطبة وتطويل الصلاة، باختصار الكلام والاكتفاء منه بجوامعه لئلا يُنسي آخر الخطبة أولها بتطويلها لما رواه مسلم وغيره عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه خطب فأوجز وأبلغ فلما ترك قيل له: لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت أطلت، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته منة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرا".

وليعتن الخطباء بما يحتاجه الناس وما يجهلونه من أمور دينهم ومآلهم، فإن التعليم بالخطب من أنفع الوسائل وأجداها، لفرضية الجمعة على الأعيان، فعن أم هشام الأنصارية رضي الله عنها قالت: "ما أخذت سورة (ق والقرآن المجيد) إلا عن رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس" (رواه مسلم).

٥- كما ينبغي على أصحاب الفضيلة أئمة المساجد تخول جماعاتهم بالمواعظ، وإسماعهم القرآن وحديث النبي الكريم ﷺ، وما جعل قراءة في ذلك عقب صلاة العصر وبين الأذانين في صلاة العشاء إلا من السنن المحمودة، والعوائد النافعة، وإن تقاصرت الهمم في هذه الأزمان عنه.

فليحرص الأئمة على إحياء هذه السنة وانتخاب المتون والكتب النافعة في التفسير والحديث والعقيدة والسيرة والفقه لقراءتها على جماعتهم، وتوضيح غامضها لهم وإبراز معاني العقيدة

وتزكية قلوبهم وأعمالهم، ففي ذلك بإذن الله النفع العميم والعظيم.

٦- وفي رمضان يتوجب على الأئمة مراعاة السنن النبوية في قيام الليل والقنوت في الوتر، ومحاذرة البدع والمحدثات في ذلك وفي غيره، مع استصحاب الرفق بالناس والإحسان إليهم، ويتأتى لهم ذلك بمراجعة سنته ﷺ في قيام الليل وصلاته بالناس في الليالي الثلاث في رمضان، ومساءلة العلماء فيما يشكل عليهم في ذلك فهماً أو عملاً أو تطبيقاً.

٧- وينتظر من الأئمة تعليم الناس السنن والآداب، ومن ذلك الأذكار عقب الصلوات ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رفع الصوت بالذكر عقب الصلاة على عهد النبي الكريم ﷺ، وكان الرسول الكريم ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: استغفر الله ثلاثاً، اللهم أنت السلام ومنك السلام وتباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم ينصرف إلى الناس (رواه مسلم) يقولها جاهراً بها.

أهمية الأذان وفضله:

فهو شعيرة الإسلام وشعاره، وهو فرض كفائي على الرجال المقيمين لحديث مالك بن الحويرث يرفعه: "إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" (رواه الجماعة)، ولحديث أبي الدرداء يرفعه: "ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (رواه أحمد وبعض أهل السنين)، ولذا نصّ الفقهاء على أن يُقاتل أهل بلد تركوه مع الإقامة لما في البخاري أن النبي الكريم ﷺ: إذا غزا قوماً يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم، ورواه مسلم أيضاً.

وأما فضله فمع ما سبق ما في مسلم عن معاوية يرفعه: "إن

المؤذنين أطول الناس أعناقاً يوم القيامة"، وللبخاري عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً: "لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة"، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي الكريم ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا"؛ كما صحّ أن الشيطان يهرب من الأذان وله صراط.

وفي حديث عقبة بن عامر عن النبي الكريم ﷺ: "يعجب ربك ﷻ من راعي غنم في شظية بجبل يؤذن للصلاة ويصلي؛ فيقول الله ﷻ: "انظروا لعبدي هذا يؤذن ويقيم للصلاة يخاف مني، فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة، (رواه أحمد، وأبو داؤد والنسائي) بإسناد جيد.

والنصوص في الباب عديدة؛ حتى قال شيخ الإسلام: لو لم يكن النبي الكريم ﷺ إماماً لقلنا التأذين أفضل.

والأذان مشروع بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإجماع المسلمين.

ففي كلام الله القرآن؛ يقول ﷻ في سورة الجمعة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! إِذَا نُوْدِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ * فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ * وَذَرُوْا الْبَيْعَ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ * اتَّخَذُوْهَا هُزُواً وَّلَعِباً ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً * مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ * وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ نزلت في المناوئين لما استهزوا في المؤذنين.

وقد دلت السنة الصحيحة على مشروعيته والمداومة عليه، ففي سببه حدث عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال: طاف بي رجل وأنا نائم، قال تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فذكر الأذان بتربيع التكبير بغير ترجيع، والإمامة فرادي إلا قد قامت الصلاة، قال: فلما أصبحت آتيت رسول الله ﷺ؛ فقال: إنها لرؤيا حق (رواه أحمد وأبو داؤد

وصححه) إن ابن خزيمة والترمذي ولأبي داؤد في سننه أنه رأى رجلاً يحمل ناقوساً على يده فقال : يا عبد الله أتبيع الناقوس ؛ قال : وما تصنع به ؟ قلنا : ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ قلت : بلى ، فعلمه الأذان .

ولما سمع عمر بن الخطاب ﷺ الأذان من بلال حيث علّمه إياه عبد الله بن زيد بن عبد ربه حين بلال أندى منه صوتاً ، جاء النبي الكريم ﷺ ، وقال : يا رسول الله ! وأنا رأيت ذلك .

وفيه أن الناقوس وضربه شعار لا يليق بالمسلمين ، بل هو شعار بعض أهل الملل قبلنا ؛ كما هو الحال عند النصارى تحريفاً وتبديلاً .

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون على أن الأذان شعار الإسلام وعلامته الظاهرة ، إنه فرض على الكفاية ، يأثمون جميعاً بتركه .

وهنا الأذان فيه لمن تأمّل ألفاظه وجمله وكلماته ، معان عظيمة ، فيه الإعلام بالتوحيد لله ﷻ وبالوحدانية شهادة وخيراً ولمحمد ﷺ بالرسالة ، في بدء الأذان وختمه .

ومؤذنو رسول الله ﷺ أشهرهم بلال بن رباح ، فهو المؤذن حضراً وسفراً ، ثم ابن أم مكتوم وأبي محذوره بمكة .

ومن أهمية الأذان أنه مشروع حتى لقضاء الفائتة ولو بعد انقضاء الجماعة لها ، بالمسجد ، فيشرع قبل قضاء الفائتة ولو بعد وقتها الأذان ، ثم الإقامة ، حيث لما فات وقت الفجر في رجوع النبي الكريم ﷺ من غزوة خيبر طلعت عليهم الشمس ، ارتحلوا من منزلهم ، ثم نزلوا فأمر بلالاً أن يؤذن ثم آمره بالإقامة فصلوا ، فدل على مشروعية الأذان قبل الصلاة المفروضة مطلقاً .

أحكام وتوجيهات في الأذان :

١- الأذان مشروع للصلوات الخمس والجمع فقط ؛ فلا يُشرع الأذان للعيدين أو الجنازة أو الاستسقاء ، أما الكسوف والخسوف فينادى لها : الصلاة جامعة .

٢- يجب أن يكون المؤذن صيتاً ندياً لقول النبي الكريم ﷺ لعبد الله بن زيد بن عبد ربه : "قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فإنه أندى منك صوتاً" (رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي وابن خزيمة وصححوه) .

٣- كما يجب أن يكون المؤذن أميناً موثوقاً فلا يتولاه الفساق ، عالماً بالوقت عند دخوله ، لما روى البهقي عن أبي محذورة عن أبيه عن جده عن النبي الكريم ﷺ : "أمناء الناس على صلاتهم وسحورهم المؤذنون" ، ولقوله : "الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن ، اللهم ارشد الأئمة واغفر للمؤذنين" (رواه أحمد وأبو داؤد والترمذي والبيهقي وغيرهم وصححه الضياء في المختارة) .

وعليه فيجب على المؤذنين الحرص في ذلك وتحري الأذان عند دخول الوقت لترتب فريضتي الصلاة والصيام على آذانهم ، ولا يتهاونون بذلك فيتذمموا ويتأثّموا بعباد الله !

٤- كما ينبغي عليهم تحري السنة القولية والفعلية في صفتي الأذان والإقامة ، وعدم الإغراب على الناس بصيغ للأذان لا يعرفونها -ولو كانت ثابتة - ، ويتمهل في الأذان ، ويسرع في الإقامة ، ولا يبالغ بتلحينها تطريباً ومداً يُخرجان عن المقصود .

٥- ويستحب أن يكون المؤذن على طهارة ، مستقبل القبلة ، يلتفت في الحيعلة يمنة ويسرة ، ويُثوّب في أذان الفجر الثاني قائلاً بعد الحيعلة ، الصلاة خير من النوم مرتين .

٦- ويجوز أن يؤذن المؤذن ويقيم غيره ، وحديث : "من أذن

فهو يقيم" و "لا يؤذن إلا متوضئ ضعيفان" كما يصح الأذان من الصبي المميز، وغير المتوضئ، والأعمى، ولا المرأة.

٧- ولا يقصد المؤذن الراتب على أذانه، بل يستعين به، لحديث عثمان بن أبي العاص عن النبي الكريم ﷺ: "واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً" (رواه الخمسة وحسنه الترمذي)، وقال: العمل عليه عند أهل العلم.

٨- ويبطل الأذان بالابتداع فيه كفعل الروافض، أو الأذان قبل الوقت إلا الفجر، أو الفصل الطويل بين جمله، أو الفصل اليسير بكلام حرام كالسب والقذف ونحوه.

٩- ويستحب أن يقول السامع كالمؤذن، ثم يدعوان بالدعاء المعروف: اللهم رب هذه الدعوة التامة ... إلخ، ويستحب أن يُصلى على الرسول الحبيب ﷺ الصلاة الإبراهيمية، لكن لا تُربط بالأذان، فتكون عقبه بمكبر الصوت أو بصوت جماعي، أو قبل الأذان يصلى على رسوله بمكبر الصوت أو على المنارة.

ولا أعلم أصلاً لقولهم بعد الأذان مباشرة: دائماً وأبداً لا إله إلا الله، وبعد الإقامة: أقامها الله وأدامها.

١٠- ويستحب الدعاء بين الأذان والإقامة، لأنه من مواطن الإجابة، كما يحرم الخروج من المسجد على من وجبت عليه الصلاة بعد الأذان بلا عذر للنهي الوارد في ذلك.

وفق الله الجميع للعلم النافع العمل الصالح، والتمسك بالسنة والموت عليها ومحاذرة البدع وأسبابها.

***

والحمد لله رب العالمين

***

سيدنا أبو بكر الصديق : وشجاعته

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأخ ذكي نور عظيم الندوي

شجاعة أبي بكر الصديق :

تعريف الشجاعة : الشجاعة مصدر شَجَعَ يَشْجُعُ بمعنى شدة القلب في البأس ؛ يقال شجع فلان يعني اشتد عند البأس (٢٥).

وشجع شجاعة معناه كان جريئاً مقداماً غير هياب (٢٦)، وقد جاء كثير من الأحاديث والأخبار ما يحدد معنى الشجاعة والقوة ويرغب المؤمن للتحلي بهما، فمن ذلك قول رسول الله ﷺ كما يرويه أبو داؤد في سننه : المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز (٢٧)، وقد أمر النبي الكريم ﷺ أمته بالتعوذ من العجز والكسل.

شجاعة الصديق :

وكان أبو بكر رضي الله عنه مقداماً باسلاً شجاعاً لا يفوقه أحد بل كانت شجاعته تفوق شجاعة الأبطال المعدودين في الجاهلية والإسلام فثبت مع النبي في كل وقعة حين ولي من ولي وأبطأ من أبطأ وغامر بحياته في حروب الردة، وله مندوحة من خوضها ولم يذكر في أخباره قط خبر نكول أو خوف على حياة ومال، فما يدل ذلك كله إلا على

(٢٥) لسان العرب : ج/٨، ص/١٧٣.

(٢٦) المنجد الأبجدي : ص/٤١٨.

(٢٧) خلق المسلم : للغزالي : ص/١١٠.

الشدة عند البأس كما جاء في تعريف معنى الشجاعة ، ويقول العقاد : كانت شجاعته كفاء صدقه و وفائه بعهده ، سواء منها شجاعة الرأي وشجاعة القتال ، فلما أسلم لم يبل أن يعلن إسلامه وأن يجهر بصلاته ودعائه يصيبه في ذلك ما يصيب ، ولما وجب القتال كان هو أقرب المقاتلين إلى رسول الله ﷺ في كل غزوة وكل مأزق من مآزق الجلاد ، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازمة ، ولم تذكر له قط هزيمة في ساعة من ساعات الشدة ، ولا ثبت نفرقط حيث يصعب الثبات إلا كان هو بين أول الثابتين ، وكان هو في طليعة الثابتين في وقعتي أحد وحنين اللتين كانتا أشد الوقعات على المسلمين (٢٨) .

ونجد في حياته ﷺ كثيراً من المواقع التي تدل على شجاعته التي تفوق شجاعة الأبطال ، نحاول أن نذكر بعضاً منها بشئ من التفصيل .

موقف شجاعته في الجاهلية :

إذا بحثنا في حياة أبي بكر الصديق الجاهلية نجد أن الصديق كان إليه الأشناق في الجاهلية ، وكان إذا عمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه ، وكان من الذين حرموا على أنفسهم الخمر ، وهذا يدل على شجاعته التي لا يكن إنكارها ؛ لأن مثل هذه الجراءة لا يجترئ عليها إلا الرجل الشجاع ، وكذلك الديات لا يكون إلا في أيدي الشجعان الذين استطاعوا نفاذ ما يريدون .

موقف الأولية في الإسلام :

ها هو النبي الكريم ﷺ يرجع من غار حراء وفؤاده يرجف ،

(٢٨) عبقرية الصديق - للعقاد : ص/٤٤ .

ويقول لزوجته خديجة دثريني زمليني ؛ حتى يسكن ، ويقول لها : ما

حدث به في غار حراء ، ثم لم يلبث حتى علم بهذا الحادث العظيم الذي غير مجرى التاريخ صديقه وصفيه أبو بكر الصديق فجاءه جرياً ، وقل : ما هذا الذي بلغني عنك من أنك تدعو إلى توحيد الله وتزعم بأنك رسول الله ﷺ ، فصدقه الرسول الحبيب ﷺ فيما سمعه ، فما أبطأ أبو بكر حتى أسلم وصار ثاني اثنين ، وأصبح الإسلام منذ تلك اللحظة عنده ديناً يقابل الدنيا بما وسعت من خيرات وطيبات ، وأصبح غنيمة يفتديها بكل غنيمة يضن به المرء من حياة أو آل أو ذرية ومل ، ولو قاسه بمقياس ديناً ، لقد كان الإسلام بلية عليه لا يبطلها إلا العاقل الشجاع ، ولكنه قاسه بمقياس دين فعلم بأنه أربح الرابحين وأرشد الراشدين ، طلبه دنياً وكفى ، فصبر فيه على ما يجزع منه طالب الدنيا ويأبى أن يستهدف له أو يشارفه من بعيد (٢٩) .

ولا يتصور مثل إيمان أبي بكر في حين كان العرب معادياً للإسلام ولمن يعتنقه إلا بقوة وشجاعة لا يساويها شجاعة .

موقف حماية الرسول الأعظم :

وما أسلم أبو بكر حتى ضحى بماله ونفسه وكل ما في يده في سبيل الله فما يسمع من أحد أنه أوذي بسبب إسلامه إلا حاول إنقاذه ، وكان في مكة كثير من المشركين يؤذون عبيدهم لسبب إسلامهم فلما سمع بذلك أبو بكر أسرع إليهم واشتراهم من مالكيهم وأعتقهم في سبيل الله ، ولم يسمع أبو بكر أن الرسول الكريم ﷺ جاءه حاجة ، وهو يحتاج إلى مال حتى جاءه ويفدى كل ما عنده من مال ؛ حتى قال عمر بن الخطاب الذي يسابقه في الإنفاق في سبيل الله : "لا أسبقه إلى

(٢٩) عبقرية الصديق - للعقاد : ص/١٠٨ .

شئ أبداً " (٣٠) ، فكان ﷺ أعتق سبعة ممن كان يُعذبون في الله تعالى

وهم بلال ، وعامر بن فهيرة ، وزنيرة ، والنهدية وابنها وجارية بن مؤمل وأم عبيس (٣١) .

وأكبر دليل على شجاعة أبي بكر الصديق أنه أشار على النبي الكريم ﷺ أن يجتمع في المسجد ويجهر بالدعاء ، وما كان المسلمون يومئذ أكثر من أربعين ، فلبى رسول الله ﷺ دعوته و وقف بينهم في المسجد يدعو إلى الله ورسوله ، فوثب عليهم المشركون يضربونهم ويؤذونهم ويوسعونهم إهانة مع الضرب والإهانة ، وتصدى عتبة بن أبي ربيعة لأبي بكر يضربه بنعليه المخصوفين حتى ورم وجهه ... وما يشكون في موته ، ولكن لما أفاق فكان أول ما فاه به وهو في تلك الحال ، ما فعل رسول الله ﷺ وما سكنت نفسه حتى جاء إلى الرسول ، وهو متكئ بين أمه وأم جميل ، فرق الرسول لصديقه وصفيه رقة شديدة ، فقال : الصديق الصفي بأبي أنت وأمي ، ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي (٣٢) .

وبعث بين المشركين يستهين بالخطر على نفسه ولا يستهين بخطر يصيب النبي ، قلّ أو كثر حيثما رآه ، واستطاع أن يذود عنه العادين عليه ، وإنه ليراهم آخذين بتلابيبه فيدخل بينهم وبينه وهو يصيح بهم : "ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله" فينصرفون عن النبي وينحون عليه يضربونه ويجذبونه من شعره فلا يدعونه إلا وهو صديع (٣٣) .

(٣٠) أبو بكر الصديق - لمحمد رضا : ص/١٣ .
(٣١) محمد رسول الله - لمحمد رضا : ص/١٩ .
(٣٢) عبقرية الصديق - للعقاد : ص/١١٠ .
(٣٣) نفس المصدر : ص/١١١ .

بقاءه بمكة عند هجرة الآخرين إلى حبشة :

لما أذن النبي الكريم ﷺ المسلمين في الهجرة إلى الحبشة بعد ما ابتلى المسلمون من عنت المشركين ، ما هاجر الصديق الشجاع ؛ بل بقى بمكة في جوار ابن الدغنة الذي أجاره قائلاً : "إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج وبقى بمكة يعمل لدينه ونبيه ، ولا يعمل لنفسه إلا ما ليس عنه غنى من طلب المعاش ، وبنى بفناء الدار مسجداً يصلى فيه ويرتل القرآن ؛ كما تقول عائشة رضي الله عنها : "لما أنفذت قريش جوار ابن الدغنة ، قالوا له : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها ما شاء ، ولا يؤذينا ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره ففعل أبو بكر ثم بداله فابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ ، فتجتمع عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءاً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فأتى ابن الدغنة أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، قد علمت الذي عقدت لك عليه ، فأما أن تقتصر على ذلك وأما أن ترجع إليّ ذمتي ، فأنى لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في عقد رجل عقدت له ، فقال أبو بكر : "فإني أرد إليك جوارك ، و أرضى بجوار الله و رسوله" و رسول الله يومئذ بمكة (٣٤) .

فهل يجترئ على مثل هذه الشجاعة أحد سوى أبي بكر الشجاع ؟

موقف الهجرة إلى المدينة :

ثم كانت هجرته إلى المدينة فكانت أخطر هجرة أقدم عليها مسلم من أهل مكة إذ كان كفار قريش يقيمون لكل مهاجر من

(٣٤) حلية الأولياء - للأصفهاني : ج/١ ، ص/٣٠ .
الأرصاد والعيون كفاء قدره وكانت أرصادهم وعيونهم على النبي

الكريم ﷺ أكثر ما استطاعوا من علة وكيد وحيلة فكانت الهجرة في صحبة النبي شرفاً من شرفين ، لا يدري المرجح بينهما أيهما أحق بالإعظام ، أما مجازفة بالحياة وأما يقين لا يخامره الريب أن النبي ناج في حماية ربه ، ولو كان في الهجرة ما فيها من فراق الموطن أو الهجوم على فراق أرهب منه وأقسى ، وهو فراق الدنيا .

فتلقى أبو بكر الإذن بهذه الهجرة كما يتلقى البشارة بالسلامة ، قالت ابنته عائشة رضي الله عنها : ما شعرت قبل ذلك أن أحداً يبكي من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يبكي حين أذن رسول الله ﷺ بصحبته (٣٥) .

📖 **موقف المعية في الغار :**

لما هاجر النبي الكريم ﷺ وصفيه أبو بكر إلى الهجرة مكثا في جبل الثور لما أنهما يعلمان بأن قريشاً ستجد في الطلب ، فدخل أبو بكر أولاً وكسحه و وجد ثقباً فشق إزاره وسدها ، وبقي منهما اثنان فألقمهما برجليه ، ثم دخل رسول الله و وضع رأسه في حجره ونام فَلَدغ أبو بكر في رجله من الحجر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ، وكمنا في الغار ثلاث ليال (٣٦) ، فهذا الموقف يدل على شجاعته العظيمة وتفديه في سبيل الله ورسوله بماله ونفسه .

📖 **موقف حضور الغزوات :**

أن أدل الأشياء على الشجاعة خروج أحد إلى المعارك والحروب وكان الصديق ﷺ اشترك مع النبي الكريم ﷺ في جميع غزواته ، بل

(٣٥) عبقرية الصديق - للعقاد : ص/١١٢ .

(٣٦) ملخص من الرحيق المختوم - للمباركفوري : ص/١٨٥ .

كان ممن ثبت مع رسول الله في غزوة أحد ، ولم يتخلف من أي غزوة

وكان قائد السرية التي بعثها النبي الكريم ﷺ إلى وادي القرى فرجع فاتحاً ، ويقول العقاد عنه : لما وجب القتال كان هو أقرب المقاتلين إلى رسول الله ﷺ في كل غزوة وكل مأزق من مآزق الجلاد (٣٧) .

وها هو رسول الله ﷺ أخذ في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه لما حمي الوطيس واستدارت رحى الحرب في غزوة بدر حتى سقط رداءه عن منكبيه فرده عليه الصديق الشجاع ، وقال بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك (٣٨) ، وهذا يدل على شدة قلب الصديق في الحرب الذي يعبر عنه بالشجاعة .

و روى عن علي أنه قال : من أشجع الناس ؟ قالوا : أنت ، قال : أشجع الناس أبو بكر ﷺ لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فكان أبو بكر ﷺ مع رسول الله ﷺ ، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر ﷺ شاهر بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي أحد إليه إلا أهوى إليه أبو بكر ﷺ (٣٩) .

📖 **موقف عند وفاة النبي الحبيب ﷺ :**

بعد ما أظهر النبي الكريم ﷺ دين الحق على الدين كله في جزيرة العرب فارق الدنيا واختاره الله لجواره فلا غرابة أن يشك الصادقون من المؤمنين في أنه قد مات كما شك عمر ولا شك أن يضطرب أمر الناس في المدينة أشد الاضطراب ، فإذا أنكرت في أن

(٣٧) عبقرية الصديق - للعقاد : ص/٤٤ .

(٣٨) زاد المعاد : ج/٢ ، ص/٢٢٣ .

(٣٩) محمد رسول الله - لمحمد رضا : ص/١٦٧ .

أبا بكر كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ أحب

الناس إليه، عرفت وقع هذه المحنة في نفس أبي بكر ولكنك تعلم كيف خرج أبو بكر من هذه المحنة دون أن تضطرب لها نفسه ودون أن يجد الضعف أو الريب إلى نفسه، وتعرف كيف استطاع أن يرد الصادقين من المؤمنين إلى أنفسهم أو يرد أنفسهم إليهم حين تلا عليهم هاتين الآيتين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُوْلٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ مَيِّتٌ * وَّإِنَّهُمْ مَيِّتُوْنَ ﴾ فلم يجزع إذن أبو بكر لوفاة النبي الكريم ﷺ بل زاد الجزع والريب عن نفوس المؤمنين الصادقين حين ذكرهم بما أنبأ الله به في القرآن من أن النبي الكريم ﷺ معرض للموت وللقتل ومن أنه ميت كما يموت غيره من الناس، وليس إذن بد من البحث عن مصدر ما أتيح لأبي بكر من الثبات للمحن و الصبر عليها (الشجاعة)، و النفوذ آخر الأمر من مشكلاتها (٤٠).

ويقول عمر بن الخطاب حين سمع أبا بكر يتلو آيات القرآن، والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلان حتى أهويت إلى الأرض وعرفت حين تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات (٤١).

موقفه في الخلافة:

وما توفي رسول الله ﷺ إلا ظهرت مسألة الخلافة بعده لمن تكون لرجل من الأنصار أو للمهاجر كما سبق في بداية هذا المبحث، في خلافة الصديق فكان سرعة أبي بكر الصديق إلى سقيفة بني ساعدة من أشجع مواقفه التي جمع الله به الأمة بعد نبيه، واتفق الأنصار والمهاجرون على تولي أبي بكر الصديق بعده، فلما نهض أبو بكر

(٤٠) الشيخان - لطه حسين: ص/٢٠.
(٤١) حلية الأولياء - للأصفهاني: ج/١، ص/٢٩.

بالأمر يرى أمامه الكذابين المرتدين فأعلن البعض عن منعهم الزكاة،

وأظهر البعض الكفر والنفاق ولكن أبا بكر لم يضعف في أي مرحلة بل صار كالجبل الشامخ حتى رد الأمر إلى ما كان وانهزم الأعداء والكفار والمرتدين والمنافقين إلى أن اجتمعت كلمة المسلمين و وصل جيش المسلمين إلى الشام والروم والعراق وصاروا قوة ترعد بهم أجنحة الكفار والملاحدة ومن أهم ما حدث في خلافته؛ كما يلي:

حروب الردة:

لما سمع أبو بكر عن المرتدين تهيأ لقتالهم في سائر أرض الجزيرة، وقال في من منعوا الزكاة: "والله إنهم لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لأقاتلنهم" حتى ما بقى أحد ممن يذكر الأسود العنسي أو طليحة الأسدي أو غيرهما من المدعين للنبوة وصارت حروب الردة التي هي مفخرة أبي بكر الكبرى غير مدافع، أو هي مفخرته الخاصة التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الإسلامية بغير شريك (٤٢).

بعث أسامة بن زيد:

وقد استعمل رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأمره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة موتة، ولكن توفي ﷺ قبل أن يتوجه أسامة إلى الشام، فولى أمر المسلمين أبو بكر الصديق وقد أحيط بأنواع من المشكلات فأشار عليه بعض الصحابة أن يؤجل بعثة أسامة، فأجاب الصديق الشجاع: "والله لو خفت أن تتخطفني السباع لما تأخرت عن إنفاذ أسامة وجيشه" (٤٣).

وهناك كثير من المواقف التي تستحق أن تكتب لإثبات شجاعته وتطالب صفحات لا يمكن أن نبحث عنها في هذه العجالة،

(٤٢) عبقرية الصديق - للعقاد: ص/١٢٩.
(٤٣) الشيخان - لطه حسين: ص/٥٨.

مثل جمع القرآن، وموقفه ﷺ في إرث النبي، وتوليه عمر بن الخطاب

ﷺ بعده، وإخضاع بني غسان والتغلب على الروم والفرس وغير ذلك من الحوادث التي جاءت من أشجع الأمة وأقواها وأصدقها وأرحمها.

📖 الخلاصة:

إن أبا بكر الصديق ﷺ كان صديقاً لنبيه ﷺ قبل البعثة وكان ممن يبتعدون عن الخبائث عن فطرتهم فكان ممن يحرم الخمر على نفسه في الجاهلية، ويطعم الطعام، ويحمل الكل ويصل الرحم كما يقول عنه ابن الدغنة حينما أراد أن يهاجر إلى الحبشة، وكان أسبق الناس إلى الإسلام حتى ما كان له أي ترد وكبوة حينما سمع عن الإسلام، وبعد ما أسلم صار يضحي بماله ونفسه وبكل ما عنده في رضا الله ورسوله، فكان يشتري العبيد المسلمين ويعتقهم ويهيئ الأسباب لمن ليس له أسباب من أسباب الهجرة أو الغزوة، ويدافع عن الإسلام ورسول الله، ويدعو الناس إلى الإسلام ويتحمل لذلك كل نوع من المشقات.

وما كان كل ذلك إلا بشجاعته التي أكرمها به الله فكان شجاعاً في موقف الشدة ورحيماً في موقف الرحمة فكان شديداً في غزوة أحد وبدر؛ بل في جميع الغزوات، وكان شديداً في حرب المرتدين وكان شديداً في موقفه عند بعثة أسامة، وكان يملك نفسه عند وفاة النبي الكريم ﷺ وكان معه في الهجرة، وفي غار ثور وبقي معه في مكة عند هجرة الآخرين بالمدينة، وكان مع ذلك مخلصاً لا يبالي بالأهوال، ويحتمل المشقات كما يستفاد من سيرته فبقي مع المسلمين في الشدائد ينصرهم، ويتحمل معهم المشقات، ولم يكن جباناً أو ضعيفاً كما يظن بعض الناس لأن كل ما ذكرته إن كانت هذه مواقف ضعف، فأين مواطن القوة والشجاعة.

هذا؛ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الإمام أبو القاسم القشيري
حياته، وتفسيره لطائف الإشارات

(٤)

بقلم: الدكتور محمد عارف الدين الفاروقي
(جامعة حيدرآباد - الهند)

📖 ما هو التفسير الإشاري:

يعني كلام السادة العارفين في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أصحاب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان، وأما الذين اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن فقط، فهم الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وهو اعتقاد باطل لا يذهب إليه، أما أئمة السلوك فإنهم قد حضوا على حفظ التفسير الظاهر، وقالوا: لابد منه أولاً إذ لا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل أحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما قولهم: إن للقرآن ظاهراً وباطناً فيؤيده ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى (٧١) ومما يؤيد أن للقرآن وجوهاً أيضاً ما أخرجه ابن سعد عن طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج؛ فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة، وأخرج من

(٧١) الإتقان في علوم القرآن: ج/٢، ص/١٩٢.

وجه آخر أن ابن عباس قال : يا أمير المؤمنين ! فأنا أعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل ، قال : صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه نقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً ، فخاصمهم بالسنة فلم يبق بأيديهم حجة (٧٢) ، وقال ابن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين فليتل القرآن ، ومن المعلوم أن هذا لا يحصل بمجرد التفسير الظاهر وقد قال بعض من يوثق به لكل آية ستون ألف فهم ، وروي عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ، قال ابن النقيب (٧٣) : إن ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنه من الأسرار التي اطلع الله تعالى عليها أصحاب الحقائق ومعنى قوله ولكل حرف حد أن لكل حرف منتهى فيما أراده الله تعالى من معناه ومعنى قوله ولكل حد مطلع أن لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به (٧٤) ، وقال صاحب روح المعاني في مقدمة تفسيره : "الظهر التفسير ، والبطن التأويل ، والحد ما يتناهى إليه الفهوم من معنى الكلام ، والمطلع ما يصعد إليه منه ، فيطلع على شهود الملك العلام" انتهى .

أساس التفسير الإشاري :

وهاهنا يتبادر سؤال إلى الأذهان ما هو أصل التفسير الإشاري ،

(٧٢) المدخل المنير في مقدمة علم التفسير : ص/٢٠ .

(٧٣) هو الشيخ جمال الدين أبو عبد الله الحنفي المقدسي ؛ صاحب تفسير "التحرير والتحبير" سنة ٦٩٨م .

(٧٤) الإتقان : ج/٢ ، ص/١٩٢ .

وهل هو كان معروفاً بين الصحابة (رضي الله عنهم) أم اخترعه طائفة بعد انتشار العلوم المختلفة بين المسلمين ؟ والجواب أنه ليس أمراً مبتدعاً بل هو كان معروفاً ومقبولاً عند الصحابة ، إنهم يعدونه من كمل العلم وتمام النعمة ، له نظائر عديدة في حياتهم ومنها ما رواه البخاري في كتاب التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما :

"كان عمر ﷺ يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه ؛ فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؛ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعا ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال : ما تقولون في قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ، فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ، ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ اعلمه له قال : إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توّاباً ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول" (٧٥).

فظاهر هذه السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذا نصره الله تعالى وفتح عليه ، وباطنها أن الله نعي إليه نفسه ، ومنها ما أخذ عمر ﷺ إشارة أجله ﷺ بظاهر الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عنترة أن عمر ﷺ لما نزلت هذه الآية بكى ؛ فقال له النبي الكريم ﷺ : ما يبكيك ؟ قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شئ قط إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام : صدقت (٧٦) ، قال

(٧٥) البخاري : ج/٣ ، ص/٢٢٢ .

(٧٦) روح المعاني : ج/٦ ، ص/٥٤ .

صاحب الموافقات كان بكاء عمر ﷺ استشعار نعيه عليه الصلاة والسلام ، فما عاش بعدها إلا واحداً وثمانين يوماً (٧٧) يتبين من الأدلة المذكورة أن فهم النصوص من جهة المعاني العميقة ليس بمحدود إلى الحواس بل له مجال فوق الشعور والإدراك ، والذين منحوا هذه النعمة متفاوتون في درجاتهم على قدر استطاعتهم .

معيار صحته :

وقد اشترط الأصوليون شرطين في صحته :

أحدهما : أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ولغتهم ، ويجرى على الأساليب العربية ، والثاني : أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض (٧٨) .

أقوال العلماء في باب هذا التفسير :

قد بحث الفقهاء والأصوليون بحثاً وافياً عن التفسير الإشاري تتضح منها مكانة هذا التفسير في الشريعة ، وإليكم خلاصة بحوثهم.

قال التفتازاني (٧٩٢هـ) في شرحه :

"سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم ، .وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية ، قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، يمكن التطبيق بينهما وبين الظواهر

(٧٧) الموافقات : ج/٣ ، ص/٢٠٥ .

(٧٨) الموافقات : ج/٣ ، ص/٢١١ .

المرادة ، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان" (٧٩) .

ابن الصلاح المحدث (٦٤٣هـ) :

سئل ابن الصلاح عن كلام أصحاب السلوك في القرآن كالجنيد وغيره ، وكان السائل عن هذا منكر ما سمع ذلك ، وكان يجالس شيخاً من المفتين فجرى ذلك في مجلسه فابتدأ الشيخ ، وقال : مستحسناً لكلامهم ؛ فقال : هم لا يريدون تفسير القرآن إنما هي معاني يجدونها عند التلاوة ، وقال أيضاً يقولون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! قَاتِلُوْا الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ مِّنَ الْكُفَّار ﴾ ، قالوا : هي النفس فأجاب ﷺ أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به للقرآن فإن النظير يذكر بالنظير (٨٠) .

تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري :

"اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليست إحالة الظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه جلت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ، وثم إفهام باطنه يفهم عن الآية والحديث من فتح الله قلبه ، وقد جاء في الحديث : لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل هذا إحالة كلام الله تعالى وكلام رسوله ، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قال : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لا يقولون ذلك

(٧٩) شرح عقائد النسفي - للتفتازاني : ص/١٤٣ .

(٨٠) فتاوى ابن الصلاح : ص/٢٩٩ .

بل يفسرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم" (٨١).

الشيخ العلامة الأصولي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ):

شرح العلامة الشاطبي شرحاً مبسوطاً للتفسير الإشاري وقسمه قسمين، وهو يقول في المسألة العاشرة للطرف الثاني في الأدلة أي الكتاب والسنة.

"الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الظاهرة للبصائر إذا صحت على كمال شروطها؛ فهي على ضربين:

أحدهما: ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات، فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق نور البصيرة فيه حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك.

والثاني: ما يكون أصل انفجاره من الموجودات جزئها أو كليها ويتبعه الاعتبار في القرآن.

ثم يقولن: فإن كان الأول فذلك الاعتبار صحيح وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال، لأن فهم القرآن إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن، وهو الهداية التامة على ما يليق لكل كواحد من المكلفين ويحسب التكاليف وأحوالها لا بإطلاق، وإذا كانت كذلك فالمشي على طريقها مشى على الصراط المستقيم، ولأن الاعتبار القرآني قلما يجده إلا من كان من أهلع عملاً به على تقليد أو اجتهاد، فلا يحرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده كما لم يخرجوا في

(٨١) الإتقان في علوم القرآن: ج/٢، ص/١٩١.

العمل به والتخلق بأخلاقه عن حدوده بل تنفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه ويلزم من ذلك أن يكون معتدا به لجريانه على مجاريه، والشاهد على ذلك ما نقل من فهم السلف الصالح فيه فإنه كله جار على ما تقضي به العربية وما تدل عليه الأدلة الشرعية.

ثم تحدث عن حكم اعتبار الضرب الثاني قائلاً:

"وإن كان الثاني فالتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن لازم وأخذه على إطلاقه فيه ممتنع لأنه بخلاف الأول فلا يصح إطلاق القول باعتباره في فهم القرآن، والأنظار الباطنة في الآيات إذ لم يظهر جريانهما على مقتضى الشروط المتقدمة فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني وهو الوجودي ويصح تنزيله على معاني القرآن لأنه وجودي أيضاً فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص، فلا يطالب فيه المعتبر بشاهد موافق إلا ما يطالبه المربي وهو أمر خاص وعلم منفرد بنفسه، لا يختص بهذا الموضع فلذلك يوقف على محله، فكون القلب (جارا ذا قربى) والجار الجنب هو النفس الطبيعي إلى سائر ما ذكر يصح تنزيله اعتبارياً مطلقاً فإن مقابلة الوجود بعضه ببعض في هذا النمط صحيح، وسهل جداً عند أربابه غير أنه مغرر بمن ليس براسخ أو داخل ايالة راسخ، وأيضاً فإن من ذكر عنه مثل ذلك من المعتبرين لم يصرح بأنه المعنى المقصود المخاطب به الخلق بل أجراه مجراه وسكت عن كونه هو المراد، وإن جاء شئ من ذلك وصرح صاحبه أنه هو المراد فهو من أرباب الأحوال الذين لا يفرقون بين الاعتبار القرآني والوجودي وأكثر ما يطرأ هذا لمن هو بعد في السلوك سائر على الطريق لم يتحقق بمطلوبه ولا اعتبار بقول لم يثبت اعتبار قوله من الباطنية وغيرهم" (٨٢).

(٨٢) الموافقات: ج/٣، ص/٢١٨-٢١٩.

📖 الشيخ الإسلام ولي الله المحدث الدهلوي (١١٧٦هـ) :

إشارات الصوفية في تحقيقه ليست من فن التفسير ولكن اعتبارات الآيات كما يقتبس السالك من نور معرفته معتبر ومظنته فن تأويل الرؤيا المشروع .

وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم فليست في الحقيقة من فن التفسير ، وإنما يظهر على قلب السالك عن استماع القرآن أشياء وتتولد له في نظم القرآن ، ومثل ما يتصف به السالك من حالة أو معرفة حصلت له كمثل من سمع من العشاق قصة ليلى والمجنون ، فتذكر معشوقة له فيستحضر ما كان من المعاملة بينه وبين محبوبته ، وهاهنا فائدة مهمة ينبغي الاطلاع عليها ، وهي : إن حضرته ﷺ جعل فن الاعتبار معتبراً وسلك ذلك الطريق لتكون سنة لعلماء الأمة ، ويكون ذلك فتحاً لباب ما وهب لهم من العلوم كآية : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى * وَاتَّقَى ﴾ قرأها في مسألة القدر بالتمثيل وإن كان منطوق الآية : إن من عمل هذه الأعمال نهديه إلى طريق الجنة والنعيم ومن عمل بضدها تفتح له طريق النار والتعذيب ، ولكن يمكن أن يعلم بطريق الاعتبار أن كل واحد خلق لحالة تجري عليه تلك الحالة من حيث يدري أو لا يدري ، فبهذا الاعتبار وقع لهذه الآية ارتباط بمسألة القدر ، وكذلك آية : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ فمنطوقها أنه اطلع على البر والإثم ولكن بين خلق الصورة العلمية بالبر والإثم وخلق البر والإثم إجمالاً في وقت نفخ الروح مشابهة فيمكن الاستشهاد بهذه الآية في هذه المسألة بالاعتبار - والله أعلم (٨٣) .

(٨٣) الفوز الكبير في أصول التفسير : ص/٥٠ .

📖 السيد محمود الآلوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) :

يؤيد مسلك العارفين في تفسير القرآن بالشدة ويدعو المنكرين إلى العدل والإنصاف فإنهم يسلمون المعاني الكثيرة لأبيات الشعراء ولا يقبلون المعاني العديدة لآيات رب العالمين :

"فلا ينبغي لمن له أدنى مسكة من عقل بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده ، ويا ليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى : ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ويا لله تعالى العجب ؛ كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة ولا يقول باشتمال قرآن النبي الكريم ﷺ وآياته وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين على ما شاء الله تعالى من المعاني المحتجبة وراء سرداقات تلك المباني ، سبحانك هذا بهتان عظيم بل ما من حادثة ترسم بقلم القضاء في لوح الزمان إلا وهي في القرآن العظيم إشارة إليها فهو المشتمل على خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ، وقد ذكر ابن خلكان في تاريخه أن السلطان صلاح الدين لما فتح مدينة حلب أنشد القاضي محي الدين قصيدة بائية أجاد فيها كل الإجادة وكان جملتها :

و فتحك القلعة الشهباء في صفر
مبشر بفتوح القدس في رجب

وكان كما قال : فسئل القاضي : من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى : ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ قال المؤرخ : فلم أزل أتطلب التفسير المذكور حتى وجدته على هذه الصورة وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراجه

وله نظائر كثيرة، ومن المشهور استنباط ابن الكمال فتح مصر على يد السلطان سليم من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورْ ﴾ فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة العارفين الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل لكثرة العوائق والعلائق إليه".

"وإذا لم تر الهلال فسلم
لا ناس رأوه بالأبصار" (٨٤)

أجل كتب العارفين في تفسير القرآن:

مسلك العارفين في تفاسيرهم على ثلاثة أطوار:

١- منهم من جعلوا غاية قصودهم بيان لطائف ودقائق الآيات فقط، ولم يتعرضوا بشئ من التفسير الظاهر كأبي عبد الرحمن السلمي.

٢- طائفة قد غلبت عليهم لطائف الإشارات ومع ذاك وعوا بالتفسير الظاهر كسهل التستري وأبي القاسم القشيري.

٣- طائفة قد هموا بالتفسير الظاهر وذكروا شيئاً من باب الإشارات كالنيسافوري والآلوسي:

وفي فرصة أخرى يمكن أن نشير إلى بعض كتب التفسير التي تحتوي على التفسير الإشاري مع الإشارة إلى أصولها.

(٨٤) مقدمة روح المعاني: ج/١، ص/٧.

مولانا غلام علي آزاد البلغرامي كاتبا و شاعرا

بقلم: البروفيسور الدكتور محمد اجتباء الندوي
(الهند)

حديثي الآن عن الشخصية الفريدة الفذة التي امتازت بالمدائح النبوية فلقبت بـ "حسان الهند"، وهي الشيخ العلامة مير غلام علي آزاد البلغرامي الحسيني الواسطي، ولد في بلدة "بلغرام" في ٢٥/صفر ١١١٦هـ الموافق ١٧٠٤/٥م، قرأ على جده لأمه العالم الجليل الشيخ عبد الجليل علوم اللغة والسيرة النبوة والحديث النبوي، واللغتين :العربية والفارسية، وبرع فيهما، ولم يكن مثيله بعصره في علوم النحو والمعجم، والشعر وفن البديع والتاريخ والسير والأنساب.

تشرف بالحج وزيارة الحرمين الشريفين عام ١١٥١هـ، واستفاد من علمائهما ونهل من معينهما الصافي النقي، وعاد إلى الهند وأقام في مدينة "أورنغ آباد" بجنوبي الهند، و وافته المنية فيها سنة ١٢٠٠هـ الموافق ١٧٨٥/٦م، وكان تاريخ وفاته "آه غلام علي آزاد".

وألف في كل علم وفن ومن أهم مؤلفاته: ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري، وتسلية الفؤاد (قصائد) تراجم العلماء، وشفاء العليل، غزلان الهند، سروآزاد، اليد البيضاء، والخزانة العامرة، ومآثر الكرام في تاريخ بلغرام، ترجم فيه علماء ومشايخ بلغرام، وله مؤلف في أنساب بلغرام "الشجرة الطيبة" والسبحة السعادة، تشتمل (السبعة السيارة) على سبعة دواوين شعر له، وأضيفت إليها ثلاثة أخر فصار عشرة كاملة.

وأعظم كتاب له صيت ذائع ونفع عظيم هو: "سبحة المرجان

في آثار هندوستان" ، قال عنه المغفور له الدكتور محمد فضل الرحمن الندوي الذي نال بدراسته وتحقيقه في جامعة عليكره الإسلامية "شهادة الدكتوراه" ١٩٧٦م في مقدمته :

"هو أول كتاب ألف في تراجم علماء الهند وعلومها باللغة العربية" و "مهد السبيل لمن تبعه ..." (ج/١ ، ص/ألف) .

وقال المؤلف معرفاً كتابه : "أما بعد ! فهذه نسخة لم ينسج أحد على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها وفق الله تعالى بتأليفها عبده المتوكل والمتوسل إليه الفقير غلام علي الحسيني نسباً والواسطي أصلاً والبلغرامي وطناً ... جمع فيها ما وجد من ذكر الهند في التفاسير العظيمة والأحاديث الكريمة (ج/١ ، ص/٧) .

وللكتاب أربعة فصول ، وهي كالتالي :

١- في ما جاء من ذكر الهند في التفسير والحديث .

٢- في ذكر العلماء أنار الله براهينهم .

٣- في محسنات الكلام .

٤- في المعشوقات والعشاق .

وسأتحدث عن روائع كتابته وبدائع شعره لتستجلى صورته كاتباً وشاعراً ، وستكون أكثر النماذج لنثره من الفصلين الأخيرين ونماذج شعره من المدائح النبوية وبعض القصائد الأخرى إذا اتسع المجال بإذن الله تعالى ، ذكر العلامة آزاد البلغرامي في فصل محسنات الكلام أنها نقلت عن الهندية إلى العربية ، وكان قد ألفه باسم : "تسلية الفؤاد" ثم ضمها إلى كتابه : "وقد حررت فصلاً في كتابي تسلية الفؤاد فأجعله جزءاً من هذا السواد" .

ويقول : "... ثم إن قدماءهم الذين كانوا قبل زمان الإسلام استخرجوا من الكلام بدائع وافية واستنبطوا من رشحات الأقلام

صنائع شافية منها مشتركة بين العرب وبينهم كالتورية وحسن التعليل وتجاهل العارف ... ومنها مختصة بالعرب كاستخدام المضمر وحسن التخلص ... ومنها مختصة بالهند ..." (سبحة المرجان : ج/٢ ، ص/٣٨).

ويقول أيضاً موضحاً بما أشار إليه : "وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية إلى العربية ، فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند وبعضها يقبل النقل ؛ فنقلت عنها نبذة وجدتها فائقة ..." (سبحة المرجان : ج٢ ، ص/٣٨) .

وقال : "وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند" (المصدر السابق) .

وأشار إلى منهجه ؛ فصرح : "عمدت على استخراج الأمثلة عن المجاميع والدواوين سنحت لي نبذة من الأنواع وظفرت بأقراط ثمينة للأسماع ، فاخترت من الأنواع الهندية ثلاثة وعشرين ، وسميتها في العربية بأسماء بمسمياتها" (أيضاً) .

وقد أحصى هذه البدائع وذكرها بالترتيب ، يراجع الكتاب من يرغب المزيد ، وكذلك ذكر من المستحسنات العربية سبعاً وثلاثين ، وهي تدل على ملكته المحكمة وقدرته الفائقة على اللغة العربية .

وقال في المقالة الرابعة عن القصيدة البديعية : "قد عرضت على جناب الأدباء وساحة الكملاء ما أردت إيراده من المحسنات الكلامية والبدائع الأقلامية ، ثم مشيت على آثار أصحاب البديعيات ونظمت قصيدة فائقة على أزهار الربيعات ، وأخرجت من عمق البحر غرر الدرر وجددت البديع في المائة الثانية عشرة وأبيات قصيدتي مائة و واحد ، سالمة من تكرار القافية حافة للمطالب الوافية ..." (سبحة المرجان : ج/٢ ، ص/٢٨٤) .

وأما الشعر فكان يملك ناصيته ويقدر على أن يجعل كلامه كله

شعراً ، لذلك صدرت له سبعة دواوين وسماها : "السبعة السيارة" وأضاف إليها ثلاثة أخرى فكملت عشرة ، ويحلو لي بأن أقول : مولانا غلام علي آزاد أكثر عطاء وأغزر إنتاجاً من بنات شفته من لشعر العربي في بلادنا الهند ، ولو أن شعره كله ليس على مستوى جيد يوازن بالشعراء الآخرين أو بالمقارنة مع الشعراء العرب ، ولكنه يمتاز في العصر الذي عاش فيه بغزارته وتفوقه وخبرته الطبعية القويمة ، وامتاز بمدائحه النبوية وغزارتها ، ومن ميزته أنه يفتتح كل قصيدة له بمدح النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم ، ولأجل هذا تشرف بلقب : "حسان الهند" (١) ، وهو يقول :

توجت رأس كل ديوان بمدح النبي الكريم ﷺ يتمنا ..." (ديوان آزاد : ص/٢٤٨) .

وقد أعجب به العرب كثيراً وأثنوا عليه كما سجل تلميذه "لكشمي نارائن شفق" كلمة العلماء عن عبقريته وشخصيته الفذة ، فقد قال محمد قدرة الله : "إن الهند لم ينظم فيها أحد القصائد العربية على النمط الذي جاء به العلامة غلام علي آزاد" .

(نتائج الأفكار : ص/٥٩) .

ويقول آزاد عن محاولاته الشعرية بنفسه : "أما بعد ! فيقول العبد المستفيء بالنور التهامي آزاد الحسيني الواسطي البلغرامي : إني صرفت العمر في مذاكرة العلوم العربية ، وشمرت الذيل في مزاولة الفنون الأدبية ونظمت من الخرائد ما يجلو نواظر البصراء ، وجمعت من الفرائد ما تقرعيون الأدباء إلى أن رتبت بعونه تعالى سبعة دواوين

(١) ذكر السيد فرزند أحمد في كتابه : "تذكرة جلوه خضر" أن ملك اليمن منحه لقب "حسان الهند" وأرسل إليه هدايا وتحفاً ثمينةً .

و وزنت الجواهر الزواهر بسبعة موازين وسميت الدواوين السبعة بالسبعة السيارة" (مقدمة الديوان السابع : ص/٣١٠) .

وقد ذكرنا أعلاه أنه أضاف ثلاثة أخرى . .

ويحتوي الديوان الأول معظمه بمدائح النبي الكريم ﷺ أذكر أبياتاً منه :

برهان رب العالمين حبيبه
في الأمة الأمية العرباء
هو نيّر أسنى الكواكب ساطع
ملأ الأهلة كلها بسناء
من معشر الإنسان إلا أنه
إنسان عين المجد و العلياء
شمس تجلب غير أن مسيرها
فوق الطريق ليلة الإسراء
يوم القتال من السيوف ظلاله
و يقوم في العرصات تحت لواء
و سابق و ظهوره متأخر
كنتيجة الإشكال للعلماء (ص/٢)

كان الحنين إلى زيارة المدينة المنورة قد سيطر عليه ولا يقر له قرار، ولم يكن يملك الزاد والراحلة ، فخرج ماشياً على الأقدام ، وقال :

لو كنت أخبر جيرتي و عشيرتي
لتزاحموا بيني و بين رجائي
فخرجت عنهم خائفاً مترقباً
شوقي أمامي و الأناس ورائي
شمرت ذيلي و المطية أرجلي
أرج النسيم معي من الرفقاء

و مشيت من غير المطية برهة
مع أن جسمي ضامر الأعضاء
حتى لقيت من المهيمن نعمة
موفورة بالبر والداماء

(يشير إلى نظام حيدرآباد)

وأريد أن أذكر هنا أبياتاً من قصيدته الرائعة ؛ قل مثيلها :

يا سيداً سنداً أهوى زيارته
متى ألوذ بما عندي من الأمل
مدحته و لساني غير مقتنع
لا تنطفئ شعلة الظمآن بالبلل

وإليكم أبياتاً مدح بها النبي الكريم ﷺ باسمه ، بكل بساطة وحلاوة وحب :

شمس على أوج الجلال محمد
بدر على أفق الكمال محمد
أسرى إلى الفلك المحدد وانثنى
و أتى بإمكان المحال محمد
منظور رب العالمين حبيبه
قد فاق يوسف في الجمال محمد
غصن رطيب مثمر يوم الندى
و مهند يوم القتال محمد
غيم ملث لا يتم حبيبه
أربى على السحب الثقال محمد
لم يبق في العهد المقدس سائل
أغنى الأرامل بالنوال محمد
صقل النبي صدورنا وقلوبنا
و جلا النواظر بالكحال محمد

كان الشيخ غلام علي آزاد قد طرق ميادين أخرى غير القصائد المدحية ، فله في دواوينه قصائد شعرية تصل بالحكايات ، والدعوة والإصلاح ، والحب والعشق والجمال ؛ منها : "مظهر البركات ، ومرآة الجمال ، صور فيها المواضيع المرتبطة بها تصويراً رائعاً ، ينبع من التذوق الأدبي الرفيع ونسمة دعوية روحية ندية ، ومقدرته الشعرية الفريدة ، يحكي عن الأديب الشاعر المفكر الكبير الأمير خسرو الدهلوي ؛ فيقول :

خسرو الهند صاحب العرفان
و العديم النظير في الأقران
جوهر قابل من الأتراك
بشر كامل من الأملاك
شيخه المقتدى نظام الدين
نوره في الدجى نظام الدين
مصره زينة الثرى دهلي
نزهة العين للورى دهلي
صام لله أربعين سنة
فأذاقت العيون سِنة
هو في الفرس شاعر مشهور
في فنون كثيرة دستور
قد أتانا بأعذب الكلمات
هي ماء الحيات في الظلمات
كل ألفاظه جمانات
و دواوينه خزانات
هو في قاله عديم المثل
عام ترحاله "عديم المثل" (٢)

(٢) الكلمة تاريخ وفاته ٧٢٥هـ .

إنها قصيدة طويلة تحتوي على ثلاثين بيتاً، من أروع ما قيل في هذا الموضوع، وآخر بيته يقول فيه:

خلّ آزاد ألفة الجاه و تحيز محبة لله

وهكذا يحكي عن آصف جاه بقصيدة طويلة تشتمل على أحد عشر بيتاً منها:

الأمير الجليل آصف جاه
و المطاع النبيل آصف جاه
حاكم عادل على الدكن
آمر باذل على الدكن
انثنى عن حظيرة الدنيا
و ثوى في حديقة العقبى
عام ترحاله عن الغبرا
"ساكن الخلد أكمل الأمراء" (٣)

وله قصيدة بعنوان: "مرآة الجمال" وصف المرأة الحسناء وأعضاءها واحداً تلو الواحد وشعره بغاية الروعة بتصوير جميل أخاذ، يقول:

بي ظبية من أبرق الجنان
من مثلها في عالم الإمكان
شمس تباهي بالسنا أمة لها
و كواكب أخرى من الغلمان

ويقول:

لوائمي قطعت أكبادهن متى
رأينه في كمال الحسن والتيه
أياً صواحب أكباد مقطعة
فذلكن الذي لمتنني فيه

(٣) الكلمة تشير إلى تاريخ وفاته عام ١١٦١هـ.

وتابع في وصف النساء وهو يصورهن تصويراً جميلاً، فقد وصف الضفيرة، والشفة، وخد العذراء، والجبهة، وأخيراً يقول:

أمليت في وصف المهاة قصيدة
حسنية تحوي أدق معان
في سبعة فوق الثمانين التي
مائة و ألف بعدها حسباني
سميت مرآة الجمال قصيدتي
طابت برؤيتها قلوب حسان
ما أن سمعنا مثلها عن شاعر
آزاد للطرز المنشط باني
صلى الإله على النبي و آله
ما غنت الأطيار بالألحان

سبق مولانا غلام علي في وصفه هذا الجمال جمال المرأة، الشعراء الآخرين في الهند، وأذكر كلمة له يفتخر به:

"ولقد أنشأ الفصحاء المتقدمون والبلغاء المتأخرون في الباب أشعاراً أكثر من أن تحد ولكني ما وقفت على أحد منهم بتشبيب مثل هذا التشبيب و وصف الأعضاء في قصيلة واحلة، على الترتيب، إلى أن وقعت القرعة على عملي، وجاءت هذه التحفة في سهم علمي".

(ديوان: مخطوطة: ص/١٩٧)

كانت شخصية غلام آزاد البلغرامي العظيمة جديرة بأن نقوم بدراسة موسعة مسهبة لها في مجال الأدب والشعر وإثرائه لهذا الفن بقلمه السيال وذكائه الوقاد وقدرته الشعرية الجامعة، ونأتي بالنماذج بديعة حية أكثر وأوفر، ولكن المجال لا يسمح لي بذلك، ولا يسعني الوقت إلا أن أترحم على هذا العالم الأديب الأريب العظيم، رحمه الله وجزاه خيراً.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

سجع الكهان

بقلم : أ.د/ محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد الكتّاب - القاهرة)

كان في العصر الجاهلي طائفة تزعم أنها تطلع على الغيب وتعرف ما يأتي به الغد بما يلقي إليها توابعها من الجن ، وكان واحدها يسمّى كاهناً كما يسمى تابعه الذي يوصى إليه باسم : "الرَّئِيّ" ، وأكثرهم كان يخدم بيوت أصنامهم وأوثانهم ، فكانت لهم قداسية دينية ، وكانوا يلجأون إليهم في كل شئونهم ، وقد كانوا يتخذونهم حكاماً في خصوماتهم ومنافراتهم ... وكانوا يستشيرونهم ويصدرون عن آرائهم في كثير من شئونهم ، كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة ، أو قعود عن نُصرة أحلاف ، أو نهوض لحرب (١) .

ويروى ابن الأثير أنّ أحد الكهنة ويدعى شافع بن كليب الصدفيّ يتكهن بظهور النبي الكريم ﷺ ؛ فيقول : (قدم على تُبّع الآخر ملك اليمن ، قبل خروجه لقتال المدينة شافع بن كليب الصدفي ، وكان كاهناً ، فقال له تُبّع : هل تجد لقوم مُلكاً يوازي مُلكي ؟ قال : لا ، إلا ملك غسّان ، قال : فهل تجد ملكاً يزيد عليه ؟ قال : أجده لبار مبرور ، ورائد بالقهور ، و وصف في الزبور ، فضلت أمته في السُّفُور ، يفرّج الظلم بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأمته حتى يجيئ أحد بني لؤيّ ،

(١) العصر الجاهلي - للدكتور شوقي ضيف : ص/٤٢٠ ، الطبعة الثامنة (دار المعارف - د.ت) ، وينظر ؛ النثر في العصر الجاهلي - د/هاشم مناع : ص/٩٥ وما بعدها ، ط/١ ، (دار الفكر - سنة ١٩٩٣م) .

ثم أحد بني قصيّ ، فنظر تُبّع في الزبور ، فإذا هو يجد صفة النبي الكريم ﷺ) (٢) .

فمنزلة الكهان - إذن - في الجاهلية كانت كبيرة ؛ إذ كانوا يعتقدون أنهم يوحي إليهم ؛ ولعلّ هذا ما جعل نفوذ الكاهن يتجاوز قبيلته إلى كثير من القبائل التي تجاورها ؛ ومن ثم كان العرب يقصدون كثيرين منهم من مناطق بعيدة ، وممّا يلاحظ أنهم كانوا يكثرون في اليمن وفي بيوت عبادتها الوثنية ، وخاصة من يتعمقون في القدم ، ولعلّ في ذلك ما يدل على الصلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشمال ، وتلقانا في كتب التاريخ والأدب أسماء كثيرين منهم ، وقد يبالغ القُصّاص فيرسمون لبعضهم صوراً خياليةً ، فمن ذلك : أنّ شِقّ بن الصعب كان شق إنسان أو شطره فله عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة ، وأنّ سطيح بن ربيعة الذئبي لم يكن فيه عظم سوى جمجمته وأنّ وجهه كان في صدره ولم يكن له عنق وربما كان أحدب (٣) !

هذا ؛ وقد كان الكهان في الجاهلية يعتمدون على السّجع في كلامهم ، وقد اختلط الأمر على بعض قريش في أول نزول الذكر الحكيم ؛ فقرنوه بسجع كهنتهم ؛ وردّ عليهم القرآن الكريم بمثل قوله ﷻ : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُوْلٌ كَرِيْمٌ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ * قَلِيْلاً مَّا تُؤْمِنُوْنَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ * قَلِيْلاً مَّا تَذَكَّرُوْنَ** ﴾ (٤) .

ولو نظرنا إلى سجع الكهان للاحظنا أنهم لم يكونوا يسجعون فحسب ، بل كانوا يعمدون أيضاً إلى ألفاظ غامضة مبهمة ؛

(٢) الكامل في التاريخ - لابن الأثير : ج/١ ، ص/٤١٧ (ط / دار صادر ببيروت ، سنة ١٤٠٢هـ) .
(٣) العصر الجاهلي : ص/٤٢٠-٤٢١ بتصرف .
(٤) سورة الحاقة ، الآيات/٤٠-٤٢ ، وينظر ؛ المرجع السابق : ص/٤٢٢ .

حتى يتركوا فسحة لدى السامعين كي يؤوّل كل منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه ، ومن ثم دخل الرمز في كثير من أقوالهم ؛ إذْ يومئون إلى ما يريدون إيماء ، وقلما صرحوا أو وضّحوا ، بل دائماً يأتون المعاني من بعيد ، بل قل : إنهم كانوا لا يحبون أن يصوروا في وضوح معنى ، ويتخذوا له أشباحاً واضحةً من اللفظ تدل عليه ؛ لأن ذلك يتعارض مع تنبئهم الذي يقوم على الإبهام والوهم واختيار الألفاظ التي تخدع السامع وجوهاً من الخُدَعِ ؛ و من ثم كان من أهم ما يميز أسجاعهم عدم وضوح الدلالة وأنْ يكثر فيها الاختلاف والتأويل .

ويلاحظ أيضاً على سجع الكهان : كثرة الأقسام والأيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والأشجار والبحار وكثير من الطير ؛ وفي ذلك ما يدل على اعتقادهم في هذه الأشياء وأنّ بها قوى وأرواحاً خفيّة ؛ ومن أجل ذلك يحلفون بها ؛ ليؤكدوا كلامهم وليبلغوا ما يريدون من التأثير في نفوس هؤلاء الوثنيين (٥) .

هذا ؛ ويعدّ سلمة بن أبي حيّة أكهن العرب ، ومن قوله : "والأرض والسماء ، والعقاب والصقعاء ، واقعة ببقعاء ، لقد نفّر المجد بني العُشراء للمجد والسناء" (٦) .

كما تعدّ الشعثاء وكاهنة ذي الخَلَصَة ، والكاهنة السعدية ، والزرقاء بنت زهير ، والفيطلة القرشية ، وزبراء كاهنة بني رئام ، من أشهر الكاهنات في العصر الجاهلي (٧) ..

---

(٥) العصر الجاهلي : ص/٤٢٢-٤٢٣ .

(٦) البيان والتبيين - للجاحظ : ج/١ ، ص/٢٩٠،٣٥٨ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط / ٥ (الخانجي بالقاهرة - سنة ١٤٠٥هـ) .

(٧) يراجع ؛ العصر الجاهلي : ص/٤٢١ .

صور و أوضاع :

تصريحات البابا في تركيا هل تدل على تحول في الموقف ؟

بقلم : واضح رشيد الحسني الندوي

تحمل زيارة البابا بنديكت الأخيرة لتركيا أهمية خاصة فيما يتصل بالعلاقات بين أوربا والعالم الإسلامي اللذين يشكلان اليوم معسكرين متحاربين ، وكان لهذا الصراع وطبيعة المجابهة بينهما تأثير على العالم كله .

وقد بدأت محاولات في آخر عهد البابا بول الراحل لتخفيف حدة التوتر بتوجيه دعوة إلى السعي للتقارب بين الإسلام والنصرانية ، وعقدت عدة حوارات ، وبدأ يفكر عدد من رجال الفكر في أوربا وفي دول العالم الإسلامي في البحث عن نقط الالتقاء والتعاون بين الديانتين اللتين تسودان العالم كله ، وتسيطران على السياسة العالمية ، واعتقد هؤلاء المفكرون أن هذا التقارب ممكن ومعقول لوجود نقاط الالتقاء بين الديانتين، وحضارتيهما ، فإن الحضارة الغربية مدينة في كثير من المجالات للحضارة الإسلامية ، وقد اعترف عدد من الباحثين الغربيين المنصفين ، ولا ينكر أحد من له إلمام بالتاريخ أن الإسلام كان في موقف عطاء قروناً طويلةً ، في العلم والحضارة ، والسياسة ، واستفادت أوربا من الحضارة الإسلامية عدة قرون ، ويرى بعض الباحثين أن الحروب الصليبية رغم مساويها وأضرارها كانت أداة تعرف أوربا على الحضارة الإسلامية ، وأن شعور النهضة حدث في أوربا بتأثير هذه المعرفة ، كذلك يستفيد العالم الإسلامي اليوم من الحضارة الغربية ، وأن الإسلام ينتشر بسرعة في أوربا ، ويتضخم عدد الذين يمارسون التعاليم الإسلامية ، ويزداد عدد المساجد والمراكز الإسلامية في أوربا ، ما يؤدي إلى تهيئة فرص الالتقاء والتعاون والتفاهم والتعامل بين أفراد الجاليتين ، والكتاب الإسلامي يزداد شيوعاً اليوم في اللغات الأوربية ، وللمسلمين أكثر من سبعين دولة مستقلة في العالم ، وبينها وبين

الدول الأوربية علاقات وتعامل ، وتحمل هذه الدول ثروات هائلة وذخائر لا يستغنى عنها ، لذلك هناك دواع كثيرة للتعاون بدلاً من التحامل والعداء .

إنه كان من حكم المنطق أن يكون بين المعسكرين اللذين لهما مصالح مشتركة ، تعاون في مدّ هذه الثروات واستخدامها لصالح البشرية ، وبالإضافة إلى ذلك إن تعاليم النصرانية للرحمة والحب وكبح جماح النزعات المادية ، واللاأخلاقية ، والتضحية ، وتعاليم الإسلام السمحة لبناء مجتمع نزيه عادل يقوم على التوازن بين الجانب الروحاني ، والجانب المادي ، هي الحل الوحيد للخروج من المأزق الذي يعاني منه المجتمع البشري بطغيان المادية ، وغلبة النزعات العدائية .

كان من حق قادة النصرانية أن يدركوا خطر الحضارة الأوربية اللاخلقية ، و يعلنوا البراءة عما يرتكبه أتباع النصرانية ، من مآسي بشرية ، فإنهم على عكس تعاليم النصرانية للحب والإخاء والتضحية ، أصبحوا تجار الحرب ، وباعة أسلحة الدمار ، فكان من الإنصاف أن يضم المسئولون عن الكنيسة صوتهم إلى من ينتقد العناصر المادية الجامحة لهذه الحضارة ، وهذا الواقع هو الآخر يدعو إلى التعاون بين الديانتين .

وقد تجرع العالم الإنساني مرارة الحروب وفظائعها في عهد الاستعمار الأوربي ، وفي عهد الحروب الكونية ، والصراعات الدولية بين الدول الكبرى النصرانية ، وإن هذه المواقف تشوه وجه النصرانية وتتعارض مع تعاليمها .

كان من أولويات المسئولين عن الكنيسة قديماً وحديثاً ، وخاصة الذين يتولون نشر المسيحية في العالم ، ويخصصون لنشر المسيحية ميزانيات تفوق ميزانيات بعض الدول الكبرى ، ويبلغ عدد المبشرين المنتشرين في العالم أكثر من عدد جنود كثير من البلدان في أوربا وآسيا ، كان من أولويات هؤلاء المسئولين عن الكنيسة أن يوجهوا طاقاتهم وصلاحياتهم إلى منع أتباع كنيستهم من إراقة الدماء ، وقتل الأبرياء ، ونهب الثروات ، والكذب والافتراء ، والتشويه والتزوير العلمي ، وأن يسعوا إلى تنمية

ودعم أواصر الصداقة ، ويساندوا القوى العاملة لإسعاد البشر ، بدلاً من نشر العداء ، والكراهية ، والشقاء ، وأن يساعدوا المظلومين والمضطهدين ، بدلاً من تأييد الظالمين .

لقد حمل البابا في خطابه الذي ألقاه في استنبول رسالة جديدة ، وهي كما نقلت وكالات الأنباء ، العمل من أجل التعاون بين الإسلام والمسيحية ، فقد أفادت صحيفة "نيويورك تائمس" أن البابا لما دخل مسجد السلطان محمد في استنبول قال : "إننا إن شاء الله سنبحث عن طريق الأمن بالتعاون المتبادل" ، وأفادت الإذاعة البريطانية أن البابا خلال زيارته لتركيا أكد في أحاديثه على التعاون بين الإسلام والنصرانية ، وقال : "إننا نؤمن بإله واحد ، ويصل نسبنا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وإن هذه العلاقة الإنسانية والروحية تقتضي أن نبحث عن طريق مشترك ، يقود المجتمع البشري الحاضر إلى القيم الأساسية" ، وكرمز لتصوره للتعاون أبدى البابا تأييده لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي ، وقد كانت الكنيسة قبل ذلك في مقدمة من يعارض انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي لأن أغلبية سكانها من المسلمين ، وأغلبية الاتحاد الأوربي من النصارى .

وقال الشيخ المفتي محمد مصطفى متجاوباً مع انطباعات البابا إنها نفحة ، ولكن نفحة واحدة ، لا تأتي بالربيع ، لابدّ من تواصل هذه النفحات وتتابعها ، فيتغير الجو المكفهر .

فإذا كان البابا صادقاً في هذا الموقف ولم تكن هناك مصالح خاصة دعته إلى إصدار مثل هذه التصريحات ، فإن هذا البيان يدل على تحول كبير في سياسة الكنيسة إذا سارت على هذا الطريق حقاً .

فقد كان بيانه السابق الذي ألقاه في ألمانيا مصدر قلق وتذمر في العالم الإسلامي ، وقد أساء إلى الجهود التي كانت تبذل للتقارب ، فقد كانت إشارته المسيئة إلى الرسول الكريم ﷺ واقتباسه من بيان الإمبراطور البيزنطي مانويل بالاولوجوس الثاني (١٣٥٠-١٤٢٥م) Manual Palelo Gus II أثارت ضجة في العالم ، وقامت احتجاجات في العالم الإسلامي ، على هذه الإشارة المسيئة إلى ذات الرسول الكريم ﷺ في الصحف الدنمركية ، والتي

أعادت نشرها الصحف الأوربية الأخرى .

ومن يقرأ نص البيان الذي نشرته وكالة رويترز يجد أن البابا وجه أيضاً دعوة إلى التعاون لمواجهة المجتمع اللاديني المتنامي ، لكن جملته المسيئة إلى الرسول الكريم ﷺ قد غطت على ما أبداه من قلق على تنامي المجتمع اللاديني ، والحاجة إلى تعاون بين الأديان المختلفة لمكافحته .

فإذا كان البابا الجديد يشعر حقاً بأهمية التعاون بين الديانتين العالميتين ، وأهمية التصدي للحضارة المادية التي تقوم على الإلحاد والثورة على القيم والمثل الخلقية ، وتعتبر العقيدة الدينية والتمسك بالقيم واتباع الثوابت المتفق عليها التي تضمن سعادة الإنسان الحقيقية ، و طمأنينة الحياة ، وراحة روح الإنسان ، أصولية ، وتوجه الدعوة علناً لمكافحة الأصولية ، فعليه أن يتخذ خطوات إيجابية متواصلة لإيجاد التفاهم و التعاون ، وإيقاف حملة الكراهية والعداء ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية ، وإذا كان يحس حقاً بغلبة التيارات الإلحادية واللاخلقية ، وهو يعيش في خضم تلك الحضارة وهو شاهد عليها ، فإنه بذلك في موقف أقوى لنقد هذه الحضارة ولنقد ما يرتكبه أتباع دينه ، من مخالفات لحقوق الإنسان وسلب حرياته ، واختراع وسائل شقائه .

إن الكنيسة الرومية هي التي قامت بغرس الشحناء والكراهية في القلوب والأذهان ضد الإسلام والمسلمين منذ القرون الوسطى ، وفرضت الحروب على العالم الإسلامي .

عرف التاريخ البابا أربان كمثير الحروب الصليبية ، وهوالذي حول أوربا النصرانية إلى معسكر حربي ضد العالم الإسلامي ، فأدت الحروب الصليبية إلى دمار واسع ، لكنها فشلت في تحقيق هدفها المنشود ، وهو السيطرة على العالم الإسلامي ، ثم قامت الكنيسة بالحرب العلمية والفكرية التي قادها المستشرقون لتزوير تاريخ الإسلام ، ثم بدأت حملة التنصير التي وسعت الفجوة بين الإسلام والنصرانية ، ثم جاء دور الاستعمار الذي استعان بالوسائل العلمية ، وشبكات التنصير ، و وسائل الإكراه والقهر ، فازدادت العداوة وتضاعفت ، ولا يزال العالم الإسلامي

يتجرع مرارة هذه الحركات المعادية .

فإذا كان البابا مخلصاً وصادقاً في كلامه وقام بتحويل هذا الاتجاه من الصراع إلى اللقاء ، ومن العداء إلى الثقة المتبادلة والتعاون ، فإنه سيحتل مكانة مرموقة في التاريخ ، وقد جربت أوربا النصرانية العداء والحرب ولكن خابت في هدفها المنشود ، وعليها الآن أن تجرب التفاهم وتدرس الإسلام بدون تحزب أو تحيز ، وستجد الإسلام أقرب إليها ، وأكثر صلاحية للتعاون ، وقد حالت بين هذا التقارب المصالح السياسية والاقتصادية والدعاية الكاذبة ، وكلما أدركت أوربا النصرانية هذه الحقيقة كان خيراً لها وللإنسانية كلها ، وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا الْيَهُوْدَ * وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا * وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا * الَّذِيْنَ قَالُوْا : إِنَّا نَصَارَى * ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيْسِيْنَ وَ رُهْبَاناً * وَّ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴾ (المائدة/٨٢) .

فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التقارب ، ولذلك يحمل المسلمون احتراماً وإكراماً للسيد المسيح عليه السلام : ﴿ ذٰلِكَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ * قَوْلُ الْحَقِّ * الَّذِيْ فِيْهِ يَمْتَرُوْنَ ﴾ (مريم/٣٤) وأمه مريم ، وكانت من القانتين : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِيْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا * فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُّوْحِنَا * وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ * وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنَ ﴾ (التحريم/١٢) ، لكن موقف النصارى إزاء الرسول الكريم ﷺ وأصحابه الكرام وأمهات المؤمنين ، موقف معاند ، بل عدائي مهين يقوم على الافتراءات والتلفيق ، وتصدر الإساءات بأقلام الكتاب الغربيين الذين يدعون بالنصرانية حيناً بعد حين ، وتجرح أقلامهم مشاعر المسلمين ، فإذا لم يتخذ إجراء من الكنيسة لوقف هذه الحملات المؤذية فإن التقارب بين الديانتين سيبقى حلماً جميلاً ، كما قال إمام المسجد التركي الشيخ محمد مصطفى أن نفحة واحدة لا تأتي بالربيع ، بل يجب أن تتواصل وتتعاقب ليتغير الجو المكفهر .

***

بأقلام الشباب :

يوم عظيم من الزمان مشهّر

بقلم : الأخ محمد فرمان الندوي

شهر محرم الحرام غرة السنة الهجرية ، ومنطلق السعادة الإنسانية ، ومفتتح الحياة الثورية ، ومرتكز الحسنات ، وبداية عام إسلامي ، والأكبر من كل شئ أنه من الأشهر الحرم ، كان يحمل هذا الشهر حرمةً وقدسيةً من جهتين ، إحداها : القتال قد حظر فيه ، وثانيها : أن العبادات تكثر فيها أجورها ، والمعاصي تزداد مثلاتها ، فالجهة الأولى قد رفع حكمها في الشريعة الإسلامية لكن الحكم الثاني باق حتى الآن وسيبقى إلى يوم القيامة وقد أشار الإمام الرازي إليه فقال : **"معنى الحرم أن المعصية بينها أشد عقاباً ، والطاعة فيها أكثر ثواباً"** .

كان هذا الشهر معظماً ومحترماً لدى العرب في العصر الجاهلي بحيث إنّهم يوقفون الحروب الطاحنة الدامية إلى سنوات ويتجنبون الأعمال اللاإنسانية ، وحظي هذا الشهر لدى اليهود بقبول وتقدير بالغين ولا سيما يوم العاشوراء فكان عندهم يوم الفرح والسرور ومناسبة السعادة والحبور ، كان صوم العاشوراء عند الرعيل الأول فريضة محكمة وسنة متبعةً لكن لمّا كتب الله عليه صيام رمضان تحول صوم اليوم العاشر إلى الندب والاستحباب ، فالرسول الكريم ﷺ رغم تطوعه كان كثير الاهتمام به ، يقول ابن عباس : ما رأيت النبي الكريم ﷺ يتحرى صيام يوم فضّله على غيره إلاّ هذا اليوم يوم عاشوراء ، فالفضل في صوم الرسول يوم عاشوراء لا يرجع إلى ما بعد هجرته ، بل يعود إلى الرواية الشائعة في قريش ، وكانت هذه العاشوراء لديها يوماً مشهوداً تذكارياً بحيث يفصل على الكعبة المقدسة كسوتها المذهبة ، فكانت قريش تصوم بالنسبة إلى هذا ، ومحمد رسول الله ما كان إلاّ من قومه ، فهو يصوم العاشوراء بالمواظبة قبل مغادرته مكة المكرمة ولا يأبه أحداً ، فلمّا ذهب إلى المدينة المنورة مهاجراً رأى اليهود

يصومون هذا اليوم ؛ فقال : **"نحن أولى بموسى منكم"** صام وأمر المهاجرين والأنصار كلهم بصيامه وجوباً ولزوماً قبل مشروعية صيام رمضان ، فجمع بحسن حنكته بين حسنيين : حسنى الكعبة المقدسة ؛ وحسنى نجاة موسى وقومه من ظلم فرعون .

روى الإمام مسلم بن الحجاج القشيري حديثاً عن عبد الله بن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع ، قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ : تناول العلماء هذا الحديث بشرحين : أولاً : نصوم العام الآتي اليوم التاسع عوضاً من العاشر لأن اليهود يصومون ذلك اليوم ، فاحترازاً من التشابه الاجتماعي نتجنب الصيام اليوم العاشر ، كما أبدل الله المسلمين بعيدي الفطر والأضحى وقاية من الاشتراك في الاحتفالات اليهودية ، ثانياً : نصوم العاشر مع التاسع بحيث يختلف صومنا عن صيامهم ، وقد رجح المحدثون الشرح الثاني ، لكن اليهود في العصر الراهن لا يصومون العاشر من شهر محرم الحرام ، ولا يكون تقويمهم طبقاً للشهور القمرية ، فلا يتطرق التشبه والاشتراك ، المسألة مطروحة على بساط البحث أن العلّة إذا فقدت فهل يبقى الحكم القديم ؟! وهل يصوم الرجال يومين أو يوماً ؟

وردت في فضائل هذا الشهر أحاديث ، كلها لا تستند إلى صحة ، تكلّم فيها أصحاب الجرح والتعديل وقد أحصاها العلامة ابن الجوزي في عداد الموضوعات واحداً فواحداً بالضبط ، وقد ذكر حديث جاء فيه أن سفينة نوح وقفت في هذا اليوم على جبل الجودي وأكرم موسى فيه بالتوراة ... يقول الحافظ السيوطي في اللآلي المصنوعة : **"والظاهر أن بعض المتأخرين وضعه وركبه على هذا الإسناد"** ، وقال ابن الجوزي : لا يشك أيّ عاقل في كون هذه الرواية موضوعاً ، وقد استمدّ القصاص والوعاظ استمداداً ونمقوا كلامهم وتشدقوا فاغرين أفواههم ، حتى امتلأ هذا الشهر بمناسبات غير إسلامية لا علاقة لها بالإسلام ، يقول العلامة ابن تيمية رحمه الله : توسيع النفقات هو من البدع المقابلة للرافضة ، وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه ، وصححها البعض ولكن ليس فيها ما يصح .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ الدكتور صفي الرحمن المباركفوري في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري عن عمر يناهز ٦٣ /عاماً ، في قريته "حسين آباد" بجوار بلدة "مباركفور" بمديرية "أعظم كره" ، وكان قد أصيب بجملة من الفالج منذ مدة ، ورغم معالجات لم يكتب له البرء الكامل ، فوافاه الأجل يوم الجمعة أول ديسمبر عام ٢٠٠٦م ، المصادف ٩/من شهر ذي القعدة عام ١٤٢٧هـ ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

كان الراحل الكريم من أسرة علمية وجيهة ، تعلم العلوم الإسلامية في بلدة مباركفور ، وبنارس ، ومئو ، وتخرج فيها من جامعة "فيض عام" بمدينة "مئو" في عام ١٩٦١م ونال تربية الحديث والسنة من المحدث العلامة شيخ الحديث عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله ، الذي منحه الإجازة في الحديث .

وما زال يتدرج في اكتساب المعارف الإسلامية ، والكتابة حول الموضوعات العلمية والتاريخية ، وتدريس العلوم الدينية في مدارس وجامعات إسلامية عديدة ، وفي خلال ذلك وفق إلى تأليف كتابه المعروف بالرحيق المختوم في سيرة سيدنا خاتم النبيين محمد المصطفى ﷺ ، الكتاب الذي استحق الجائزة التقديرية الأولى في المسابقة العالمية لكتابة سيرة النبي الكريم ﷺ التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي ، بمكة المكرمة ، ومنذ ذلك الوقت عُرف في جميع الأوساط العلمية والدينية في العالم كله ، ونال كتابه قبولاً واسعاً عظيماً ، حتى ترجم إلى ١٣ /لغة من اللغات العالمية الشهيرة ، كما أنه حضر في ندوات علمية ومؤتمرات إسلامية ، وقد بعثته رابطة العالم الإسلامي مندوباً لها في المؤتمر الإسلامي العالمي الأول في أمريكا حيث مثّل الرابطة أحسن تمثيل .

وقد توظف كباحث ومحقق في مركز السيرة والسنة النبوية بالجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة على دعوة من فضيلة العلامة الشيخ عمر فلاته رحمه الله ، واستمر في هذه الوظيفة المحترمة من عام ١٤٠٩هـ إلى ١٤١٨هـ ، ثم التحق بمؤسسة نشر عالمية وهي مكتبة السلام بالرياض كخبير بارع ومحقق ، وظل يمارس عمل التحقيق فيها إلى آخر أيام حياته ، وقد خلف وراءه مكتبة إسلامية من مؤلفاته القيمة ، منها :

١- الرحيق المختوم ، ٢- روضة الأنوار ، ٣- القاديانية في مرآتها ، ٤- القاديانية والعلامة الشيخ ثناء الله أمرتسري ، ٥- الأحزاب السياسية في الإسلام ، ٦- إتحاف الكرام شرح بلوغ المرام ، ٧- منة المنعم شرح صحيح مسلم ، ٨- إنكار الحديث ، حق أم باطل ، وما إلى ذلك من كتب دينية كثيرة يبلغ عددها إلى ٤٠ / كتاباً .

كان جريئاً في الحق ، فطينا في الدراسة والمطالعة ، ومدرساً بارعاً ، وكاتباً مقتدراً .

صلى عليه ابنه الشيخ محمد ياسر ، مع حشد كبير من العلماء والأصحاب والأصدقاء والأقرباء ، ومثّل ندوة العلماء والمسئولين عنها في الصلاة عليه وأداء واجب التعازي ، وفد من ندوة العلماء مؤلف من فضيلة الشيخ نياز أحمد الندوي ؛ أستاذ الحديث بجامعة ندوة العلماء بقيادة الشيخ الحافظ عتيق الرحمن الطيبي .

رحمه الله تعالى وتغمده بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

رحيل الأستاذ لطيف أحمد خان إلى رحمة الله تعالى

الأستاذ لطيف أحمد خان ؛ عضو هيئة التدريس بدار العلوم لندوة العلماء ، وكان يدرس اللغة الإنجليزية من مدة طويلة ، انتقل إلى رحمة الله تعالى فجأة يوم ٢٤ /من شهر نوفمبر لعام ٢٠٠٦م المصادف ٢ /من شهر ذي القعدة عام سبع وعشرين وألف وأربع مائة ١٤٢٧هـ ، كانت وفاته حادثاً مفاجئاً دون مرض مسبق ، لكن قدر الله كان مقدوراً فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

كان الراحل الكريم عضواً نشيطاً في جماعة الدعوة والتبليغ ، فكان يساهم في البرامج الدعوية ويخرج أحياناً مع طلاب الجامعة إلى مناطق مهمّة في القرى التي كانت بجوار مدينة لكناؤ ، وكانت هيئة الطلاب للدعوة الإسلامية تستشيره في شئون الدعوة وتستفيد من توجيهاته .

أمّا اعتناؤه الكبير بتدريس مادته وإيجاد روح الإفادة في طلابه فكان بالغاً إلى آخر المدى ، حتى إذا تغيب أحد منهم في دروسه حزن لذلك وقام بالنصح له في اليوم التالي ، ويشرح له ما في التغيب من الدروس من خسارة كبيرة وضرر عظيم ، ويقول لهم : إن الفرصة إذا فاتت لا يمكن أن تدرك بأيّ حال .

كان في العقد السادس من عمره إذ فاجأه الأجل ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاعَةً * وَّ لاَ يَسْتَقْدِمُوْنَ** ﴾ خلف وراءه سمعة طيبة في مجال الشعور بالمسئولية ، كما ترك من بعده أسرة مؤلفة من ولد وأمّه ، تغمده الله بواسع رحمته وغفر له ذنوبه وزلاّته ، وأكرم نزله في جنات ونعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

والد فضيلة الشيخ عتيق أحمد القاسمي في ذمة الله تعالى

وفي غد ذلك اليوم في صباح ٢٥ / نوفمبر ٢٠٠٦م استأثرت رحمة الله تعالى بوالد الشيخ عتيق أحمد البستوي ، فضيلة الشيخ محمد رفيق ، وقد تجاوز تسعين عاماً من عمره ، ولكنه كان مواظباً على أداء الصلوات بالجماعة في مسجد دار العلوم كان يأتيه مشياً على الأقدام رغم كبر سنه وضعفه ولكنه في آخر أيام حياته لم يتمكن من الحضور في المسجد نظراً إلى ما كان يعانيه من ألم في ركبتيه ، كان حريصاً على الحضور في المسجد ولقاء الناس فيه وطلب الدعاء منهم ، وطالما كنتُ ألاقيه في طريقه إلى المسجد وحيناً بعد نهاية الصلاة في المسجد ، فإنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

كان الفقيد من عباد الله الصالحين وأهل طاعته مبجلاً مكرماً يحترم الجميع صغيراً كان أو كبيراً ، ويسأل الله تعالى دائماً حسن الخاتمة ، ويعوذ من كل ما لا خير فيه ، كان وثيق الاتصال بالله تعالى ، يحيى لياليه بالنوافل والدعاء ، والالتجاء إلى الله تعالى ، وذلك هو السبب فيما إذا أكرم ، بولد

صالح نجيب عالم جليل ، بارع في الفقه الإسلامي وشئون الإفتاء ، وهو فضيلة الشيخ المفتي عتيق أحمد ؛ أستاذ الفقه الإسلامي والشريعة في جامعة ندوة العلماء ، والعضو الفعال في هيئة القانون الإسلامي على مستوى الهند ، والأمين العام لأكاديمية الفقه الإسلامي (الهند) .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِيْ إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِيْ فِيْ عِبَادِيْ * وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ** ﴾ .

الشيخ عبد الرشيد بن عبد السلام الأزهري في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء الآتية من مدينة "دلهي" بوفاة فضيلة الشيخ عبد الرشيد بن فضيلة الشيخ المفتي عبد السلام البستوي في يوم الخميس ٧ /من شهر ديسمبر ٢٠٠٦م الموافق ١٥ /من شهر ذي القعدة ١٤٢٧هـ من غير مرض مسبق ذي أهمية ، وذلك عن عمر يناهز ٧٠ / عاماً ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

كان الراحل الكريم من كبار علماء جمعية أهل الحديث على مستوى الهند ، وكان رئيساً عاماً لمدرسة "رياض العلوم" في دلهي القديمة ، وكان قد أتمّ دراسته الدينية بجامعة الأزهر في القاهرة ، ومن هنالك انتدبته مؤسسة درا الإفتاء والبحوث الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية حيث قضى مدةً تتجاوز عشر سنين ثم ارتجع إلى الهند لكي ينظم مدرسة رياض العلوم تنظيماً جديداً ويوسعها تعليماً وتربيةً ، وقد تحققت أمنيته و وُفق إلى إنجاز عمل تعليمي وتربوي لهذه المدرسة التي كان والده الجليل فضيلة المفتي عبد السلام البستوي (رحمه الله) رئيساً لها .

كان الشيخ الأزهري متحلياً بصفات جميلة من حسن الأخلاق والتواضع وإكرام الضيوف مع غزارة علمه وعلوّ مكانته .

صلى عليه الشيخ عبد التواب المدني بعد صلاة العصر وتمّ دفنه في مقبرة "بنجابيان" في دلهي ، وقد شارك صلاة الجنازة كل من السيد أحمد البخاري والشيخ عبد الوهاب الخلجي والشيخ نواب الدين النقشبندي والشيخ عبد المنان البستوي .

خلف وراءه مؤلفات عديدةً حول تعاليم الإسـلام ، والدعـوة إليـه كما خلف أربعة من أولاده الذكور وأربعاً من الإناث ؛ حفظهم الله جميعاً .

كانت وفاته خسارةً كبـيرةً لا لجمعيـة أهـل الحديـث فحسـب بـل للمسلمين جميعاً وتلقاها الناس بغاية من الأسف والأسى ، رحمـه الله رحمةً واسعةً وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناتـه ، وألهـم أهلـه وذويـه وأقاربـه الصبر والسلوة .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ * وَإِنَّمَا تُوَفَّـوْنَ أُجُوْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَة ﴾ .

فضيلة الشيخ محمد الحجي الشائع إلى رحمة الله تعالى

كان النبأ مفاجئاً بوفاة فضيلة الشـيخ محمـد الحجـي الشـائع ، جـد سعادة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الله الحُبيشي (رحمه الله) فقـد كـان الفقيد من رجال الله والعارفين بالله يعيش مع أحفـاده في مدينـة الريـاض ، وكان في غاية من التواضع وإكرام الضيوف ، الأمر الذي كـان يعتـبر ميزة للراحل الكريم وقد ترك لها بصمة مشرقةً على صفحة تاريخه ، فكان يتميز بصفات المؤمن الصادق ، وبالأخلاق الفاضلة والعمل الخالص لله تعالى .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأكرم نزله في جنـات الفردوس ، وألهم أهله وجميـع أفـراد عائلتـه كـل الصـبر والسـلوان علـى الحادث ، ولا يريهم مكروهاً في مستقبل الأيام ؛ فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُـوْنَ ، وقد حدث ذلك يوم ١٤٢٧/١١/١٠هـ الموافق ٢٠٠٦/١٢/٢م .

تعازينا إلى جميع عائلات المرحوم - إن شاء الله - وأقربائـه وإخوانـه ومحبيه ، وخاصة للشيخ عبد العزيز الحبيشي و والدته العزيزة وجميـع أفـراد الأسرة الكريمة .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ * وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُوْرَكُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ * فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ * وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ * فَقَدْ فَازَ * وَمَـا الْحَيَـاةُ الدُّنْيَـا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُوْرِ ﴾ .

***

إصدارات جديدة :

من أساليب القرآن الكريم في مكافحة التمييز العنصري

بقلم :
فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن قارة

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

نُشر الكتاب بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
رقم الهاتف ٠٤٨٤٨١٤٠٦